# مجلة شهرية

نـــــــور يسوع المسيح المســـيـــح
ΧΡΙΣΤΟΥ الغالب Φ Ω Σ

عدد: Issue No: 196
شهر كانون أوّل December 2023

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org



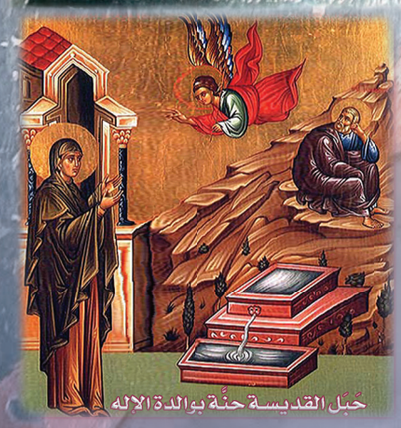



## إسقيط القديسة حنَّة
## أم والدة الإله
## في جبل آثوس - اليونان



القدم اليسرى للقديسة حنَّة، إنَّها الذخيرة المقدسة الموجودة في الإسقيط والصانعة العجائب





حَبَل القديسة حنَّة بوالدة الاله

الأبوليتيكية للعيد – على اللحن الرابع:
اليوم تنحلُّ قيود العقرة. فانَّ الله قد استجاب صلاة يواكيم وحنَّة. فوعدهما جليًّا بانَّهما يلدان على غير امل فتاة الله. التي وُلِدَ هو منها متأنِّسًا وهو غير متحيِّز ولا محصور، وقد أمر الملاك بان يهتف نحوها قائلًا: السلام عليكِ يا ممتلئة نعمة. الربُّ معكِ

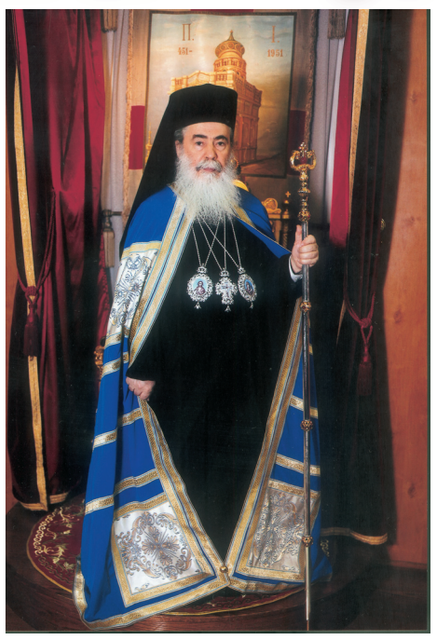
# كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

# كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

## بمناسبة عيد القديس نيقولاوس العجائبي

## (٦ كانون أوّل شرقي، ١٩ كانون أوّل غربي ٢٠٢٢)

يهتُف مرنم الكنيسة قائلًا: « إفرح يا عقلًا شريفًا ومقرًّا للثالوث طاهرًا وعمودًا للكنيسة وَعِمَادًا للمؤمنين ومعونة للمضنوكين. يا رئيس الكهنة نيقولاوس الكوكب الذي يُبدِّد بأشعة نور ابتهالاته المقبولة، ظلام التجارب والضيقات، والمرفأ الهادئ الأمين الذي يلتجئ إليه المُحاقون بعواصفَ نَوْءِ الحياة فينجون. فابتهل إلى المسيح طالبًا أنْ يمنح نفوسنا عظيم الرحمة.»



**أيُّها الإخوة المحبوبون في المسيحِ**

**أيُّها المسيحيُّون والزُّوار الأتقياء**

إنَّ النعمة الإلهيَّة، نعمة **الرُّوح القُدُس**، التي مسحت بالميرون الإلهيّ **القديس نيقولاوس رئيس أساقفة ميراليكيا العجائبي** قد جمعتنا اليوم ههنا في هذا المكان والموضع المقدَّس، مكان رحلته المقدسة، حيث هذه الكنيسة المقدسة التي تحمل اسمه، لكي نُعيِّد مُكَرِّمينَ تذكاره المُقَدَّس.

لقد لمع **القديس نيقولاوس أسقف ليكيا** في سماءِ الكنيسة مثل كوكب لا يأفل ويسطع ضياؤه في كل العالم منيرًا المسكونة قاطبةً بفضائله الغزيرةِ، لهذا تعتبر أنَّه قانونٌ للإيمانِ الأرثوذكسي، وللعقائد أي لتعليم سِرِّ حُسن العبادة الإلهيّ، والتي تمَّت صياغتها من آباء الكنيسة القديسين في المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية عام ٣٢٥م.

ومن الجدير بالذكر بأنَّ **القديس نيقولاوس العجائبي** كان عضوًا في هذا المجمع المسكوني وقد ساهم بفاعليَّةٍ في القضاء على تعليم **هرطقة آريوس التجديفيَّة**، وصاغ التعليم الأرثوذكسيّ القويم عن الثالوث القُدوس **وابن وكلمة الله ربنا ومخلصنا يسوع المسيح**، لهذا فإنَّ ناظم تسابيحه يهتفُ لاهوتيًّا بالترنيم قائلًا:«إنِّي أعبد الثَّالوث غير المخلوق، أبًا وابنًا وروحًا قدوسًا، جوهر لاهوت بسيط، طبيعة غير متجزِّئة جوهريًّا بثلاثة أقانيم منقسمة بحسب الوجوه الأقنوميَّة. وأيضًا: لقد سبقتَ فنظرتَ بعين العقل ما يكون، فملأتَ الجميع من العقائد القويمة وناديتَ فينا بمساواة الابن للآب في الجوهر ولاشيت **حماقة آريوس** وجعلت مناقبك الموقرة عمودًا للإيمان القويم.»

«وَأَمَّا نَحْنُ فَلَنَا فِكْرُ الْمَسِيحِ.» (١كور٢: ١٦) فإنَّ **نيقولاوس** لاشى **حماقة آريوس** وذلك لأنَّهُ لم يتكلم بروح العالم أيْ بالحكمة البشريَّة **كآريوس** بل تفوَّهَ قديسنا بنعمة **الرُّوح القُدُس** كما يكرز الرسول بولس: « وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ، لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ» (١كور ٢: ١٢).

لهذا السبب دُعي **القديس نيقولاوس** دستورًا للإيمان وعمودًا للكنيسة وأيضًا راعيًا عظيمًا، لهذا بما أنَّهُ كان أبًا روحيًّا وراعيًا، كان يسعى دومًا لا لِيُرضي نفسهُ بل لِيُرْضِيَ الْجَمِيعَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَخْلُصُوا. (١كور ١٠: ٣٣). لهذا أصبح قديسنا العظيم عمادًا للمؤمنين ومعونة للمضنوكين. ويُعرف بأنَّه أبٌ حقيقيّ عاملًا وسامعًا لما يوصي به الرسول بولس قائلًا: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ.» (١كور١١:١) وبالطبع إنَّ **المسيح** هو المثال الذي نحن مدعوون أنْ نتمثَّل ونقتدي به. فإذا كان علينا أنْ نقتدي بالقديسين والرسل، فإنَّه قبل ذلك قد اقتدى وتمثَّل بالرسل والقديسين أمثال الرسول بولس الذي نالَ وشاهدَ مَنَاظِرَ الرَّبِّ وَإِعْلاَنَاتِهِ (٢كور ١٢:١) **بالمسيح** كمثال لهم واقتدوا بهِ.

وبكلام آخر فقد حوى **القديس نيقولاوس** عل جميع مواهب **الرُّوح القُدُس** التي جعلت منه مُعَلِّمًا وأبًا روحِيًّا للكنيسة، لأنَّهُ تَرَبَّى بِكَلاَمِ الإِيمَانِ وَالتَّعْلِيمِ الْحَسَنِ. (١ تيم ٤: ٦) لهذا فإنَّ **القديس اغناطيوس الإنطاكي** يُجاهر قائلًا: «أنَّ **الأسقف هو** على مثال الله»، ولنسمع في سفر الأمثال «يَا ابْنِي، اخْشَ الرَّبَّ وَالْمَلِكَ.» (أمثال ٢٤: ٢١)، ويتابع قائلًا: «وأقول لكم أكرموا الله لأنه هو رب وسيد الكل والأسقف كرئيس كهنة حاملٌ صورة الله لإن له السلطة الإلهيَّة وكهنوت المسيح.»

حقًّا أيُّها الإخوة الأحبة إنَّ أسقف ميراليكيا الوديع قد استبان حقًّا رئيس كهنة للكنيسة حقيقيٌّ حاملٌ في نفسه صورة الله فيما يخصُّ خدمته للكنيسة وصورة المسيح فيما يخص كهنوته للأسرار الإلهيَّة

كما يكرز الرسول بولس: «وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ، سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ.» (١كور ١٥: ٤٩).

ويفسر **القديس ميثوذيوس** أقوال الرسول بولس قائلًا: إنَّ صورة التُّرابيِّ التي لبسناها هي ترابٌ وإلى التراب تعود، وأما صورة السَّماوي فهي القيامة من بين الأموات وعدم الفساد. «كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ » (رو٦: ٤)، وأمَّا **زيغافينوس** فيقول: إنَّ الحياة الجديدة هي الحياة بالفضيلة.

إنَّ هذه الحياة الجديدة أي الحياة **في المسيح** قد سار عليها وعلَّمها **أبونا القديس نيقولاوس**، لهذا فقد تزيَّن بإكليلِ عدم البِلَى. إنَّ هذه الحياة الجديدة أي حياة الفضيلة نحن مدعوون أنْ نسير عليها سامعين لما يوصيه لنا القديس الرسول بولس: «لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَال صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا.» (أفسس ٢: ١٠).

وبكلام آخر كأناس، وبالأخص كمسيحيِّين – قد وُلِدُوا من جديد بالماءِ والرُّوح – نُعتَبر خاصَّته بامتياز، لكي نبقى متَّحدين مع **ربنا يسوع المسيح**، لهذا فإنَّ الرسول بولس يوصي أَبَوِيًّا: «فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ.» (أفسس ٥: ١٥)

فها إنَّ الزمن المبارك قد أَطَلَّ علينا، ليُهيِّئنا من خلال الصوم المبارك والأعمال الخيريَّة الصالحة لاستقبال **يسوع المسيح إلهنا**، في مغارة قلوبنا **الذي وُلد من دماء النقية الطاهرة العذراء مريم**. نعم أيُّها الإخوة الأحبَّة، ولا نكون غير حكماء أي كأناس عالميِّين، بل كحكماء وأبناء **نور المسيح** فلنُعَيِّد لعيد أم الأعياد عيد ميلاد **المسيح** المجيد في مدينة بيت لحم في المغارة القابلة الإله ومع المرنم نهتف ونقول:

«فيما أنت ماثلٌ لدى الله يا نيقولاوس العجيب الحكيم لا تنفكَّ متشفعًا بلا فتورٍ من أجلنا كلنا نحن عبيدك الأمناء لكي ننجو من النار المؤبدة ومن سوءِ نيَّة الأعداء ومن كل المضرّات.»

**ميلاد مجيد**




الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم



**« تذكروا الفقير هذا ما أقوله لكم جميعًا. أعطوا يا أخوتي، ولن تخسروا ما تُعطون. ثقوا بالله ... تعالوا الآن نَنظر إذا كنتم قادرين على إسعاد الفقراء اليوم. أنتم مخازنهم. والله يعطيكم ما تعطونهم إيَّاه.»**
**المغبوط أغسطينوس**

**«يقول الرَّبّ في الإنجيل: إنَّ السامع الحكيم لكلامه يجب أن يكون كرجل أراد أن يبني بيتًا فحفر وعمَّق الحفر إلى أن وصل إلى الصخر ... لننظر إلى الكتاب المقدس كحقل نريد أن نبني عليه البناء. لا نتكاسلنَّ أو نكتفينَّ بالسطح، بل فلنحفر ونُعمّق الحفر إلى أن نصل إلى الصخر: «والصخر كان المسيح». المغبوط أغسطينوس**

**« ما من أحد يستطيع أن يقول أنَّ الله إلهه، إذا كان بطنه إلهه، أو إذا كان الطمع إلهه، أو مجد هذه الحياة، أو نعيم هذا العالم، أو قوَّة ما زائلة. فإله الشخص هو ما يعبده أكثر من أي شيء آخر». العلامة أوريجانوس**





**«ما هي المنفعة، إذا كنا نسمع كل يوم كلام الله، لكننا لا نعمل به؟ أتوسل إليكم أن تسارعوا إلى العمل به: فما من سبيل آخر للخلاص. علينا أن نتطهر من خطايانا ونستحق محبة الله للبشر، بنعمة ربنا يسوع المسيح ورأفته». القديس يوحنا الذهبي الفم**

**« المتواضع يدنو من الوحوش الضَّارية، وعندما يقع نظرها عليه تدنو منه، وكأنَّه سيِّدها، وتهزُّ رؤوسها وتلحس يديه ورجليه، لأنها تشمُّ فيه تلك الرائحة الطيبة التي كانت تفوح منه قبل السقوط، عندما كان يسميها وهي تحيط به في الفردوس. إنَّ هذا الأمر نُزع منَّا، لكن يسوع جدَّده فينا وأعاده إلينا بمجيئه، وطيَّب بشَذاه الجنس البشري». القديس اسحق السوري**




المسيح هو الحقّ الحيّ «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يوحنا ١٤:٦). لذلك فهو حياة بلا نهاية، غير محدود (أبيريوريستوس) *(απεριόριστος)* غير مُـقيَّد (أديسميبتوس) *(αδέσμευτος)*، أبدي مع الآب، غير منفصل وغير مُنقسِم عنه. «مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ، الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ، الَّتِي أَجْزَلَهَا لَنَا بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَفِطْنَةٍ» (أفسس ١:٣-٨). بعد هذا الإعلان، تتبع البركة الأبديَّة للوعود الإلهيَّة، والتي بدأت بالدعوة الأولى التي أطلقها **الرَّبُّ**: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» (متى ٤:١٧).

**بتوبتنا** يتمُّ إحياء جوهر وقوَّة الحياة في داخلنا، وبالإيمان يُستعاد شرف وقيمة إنسانيتنا المفقودة. تتجدَّد قدرتنا على الاتصال بنعمة **الرُّوح القُدُس** وتلقّيها، والاستنارة الإلهيَّة بشكلٍ عام من خلال مسيرة التوبة. لقد ضَعُفَت هذه القُدرة في البداية بسبب تَجاوزاتنا. في بداية التوبة العمليَّة، ومهما جاهَدَ المرء، فإنَّه لا يستطيع، كما قد تخيَّل، أنْ يُحَقِّق فداءه ولا يمكنه التحرّر من قيود «**الإنسان القديم**» (بَلْيُون أنثروپون) *(παλαιόν άνθρωπον)*، في البداية، يحاول المرء ببساطة أنْ يُسَيطر على نواياه الخاطئة ويوقف خضوعه للأهواء والعادات الخاطئة. في النهاية يتوقَّف عن الاقتراض ويبدأ في السداد. أحيانًا يصدُّ أهواءه وتجاربه بسعادة، وفي أحيان أُخرى يُصبح ذلك مؤلمًا. ثمَّ يبدأ بالمقارنة، قدر استطاعته، كم زالَ بعيدًا عن الحياة الرُّوحيَّة الحقيقيَّة، وخاصةً عندما يكون سلوكه تُجاه الآخرين غير لائق. في هذه المرحلة تظهر عليه الحاجة لِلَوم الذَّات، وهذا يؤدِّي إلى **التواضع** الذي بدونه لا توجد حياة اجتماعيَّة. تحتاج هذه المَهَمَّةُ إلى صبر ومُثابرة، لكن النجاح الكامل يعتمد على نعمة الله فقط «**ولا يتعلَّق بنا مُطلقًا**» «لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.» (يو١٥:٥).

إنَّ ربَّ الكون كلَّهُ يشجعنا حقًّا. هو القائل: «وَلكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ». (يو١٦:٣٣). انتصارنا الحقيقي ليس في أنَّ هذه الضمانات يقدمها الله الخالق القدير، بل في أنَّه يقدمها كشخصٍ كذلك. إنَّ المنتصر على العالم، أي المنتصر على الخطيئة أو بالأحرى المنتصر على كُلِّ الخطايا في كُلِّ العوالم وفي كُلِّ الأزمان، هو الشخص **يسوع المسيح** الذي أصبحَ مُتساميًا لكي يجعل جميع أتباعه متسامين. عندما نتبع الوصايا الإلهيَّة في مُجمل حياتنا، فإنَّنا نتَّجه بالضَّبط نحو نفس النصر. «إِنْ ثَبَتُّمْ فِيَّ وَثَبَتَ كَلاَمِي فِيكُمْ تَطْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ. بِهذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ تَلاَمِيذِي.» (يوحنا ١٥:٧-٨). إنَّنا فقط نُصبح مُستحقين لهذا به (إنْ أفتو) *(εν αυτώ)*، وبقوَّة نعمته لا يوجد طريق آخر. لا أحد يستطيع أن يقودنا، أو أنْ يكشف لنا أسرار الكنوز الإلهيَّة التي تفوق الطبيعة «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا.» (كولوسي ٢:٩). هو وحده قد احتوى في عمل إلهي أبدي واحد الكونَ بِأَسرِه، السَّماوات والأرض ومناطق الجحيم أيضًا. إذا اتبعنا خُطاه بشكلٍ حاسم وثَبتنا في تعاليمه، فنحنُ قادرون على أنْ نُدرك باستنارته، أنْ نُشارك في «كينونته» المتسامية، وذلك بمقدار توبتنا. من يتوب بتواضع يشعر بأنَّه لا يحتضن الخليقة المرئيَّة فقط، بل وأيضًا الخليقة غير المرئيَّة، بقوَّة المحبة التي تنبع من قَلبه. وذلك لأنَّ هذا النوع من الصلاة يَلقى ترحيبًا عند الله ودلالة على أنَّه اكتسبَ «روحًا مُنسَحِقًا» لذلك فإنَّه يصير، كما يسوعنا، «كُلُّ شيء لكلِّ الناس» (١ كورنثوس ٩:٢٢).

من الآن فصاعدًا، مَنْ ذاقَ هذه الحلاوة فليكن مُستعدًا أيضًا لتَذَوُّق المرارة المُقابلة التي تنتج عن التغييرات. النعمة الأم، التي عزَّت النفس التائبة وقوَّتها بمودة، وَخَلَّصتها من آثار التجارب والجهل؛ التي رفعتها إلى إدراك الكثير من الأسرار، تُصبح فجأةً بلا رحمة وتُخفي وجودها. والنفس التائبة تقرع باب التوبةِ عَبَثًا. تقرع نفس الباب الذي كان يفتح فورًا في الماضي. كُلُّ شيء في كُلِّ مكان يبدو كئيبًا وما من مُساعدة من أحد. «إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (متى ٢٧:٤٦). لا يوجد «سمعان كنعاني (قيرواني)» ليحمل صليبنا. حتى لو صرخنا ثلاث مرَّات أو عدَّة مرَّات، فإنَّنا لا نستطيع إدراك الاستجابة بوضوح. هناك عزاء سِرِّي واحد: الرَّجاء الذي لم ينطفيء بل هو يُشجِّع المجاهد بصمت: «لاَ

تَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ» (لو ٨: ٥٠). اسمحوا لي بالأحرى أن أستشهد بكلمات أبينا العظيم الشيخ **القديس سلوان الأثوسي** : «**احفظ ذهنك في الجحيم ولا تيأس**».

إنَّ القول: «كانَ لِباسي مِسحًا. أذللتُ بالصَّوم نفسي» (مزمور ١٣:٣٤). يُصبح واجبنا اليومي بالإضافة إلى هذا: «صارَت دُموعي خُبزًا نهارًا وليلًا» (مزمور ٣:٤١). ثمَّ نتذكَّر مرَّةً أُخرى كلمات ربِّنا المُشجِّعة: «وَلكِنِّي سَأَراكُمْ أَيْضًا فَتَفْرَحُ قُلُوبُكُمْ» (يوحنا ٢٢:١٦).

الصفاء يتلو العصف الذِّهني والبحار الهادئة تلي المياه العاصفة. تظهر النعمة مُجدَّدًا بعد اختبار التخلِّي الجزئي؛ تبدأ الرُّوح بالترتيلِ منتصرة: «أنتَ يا رَبُّ حوَّلتَ نَوْحِي إلى رَقصٍ لي. حَلَلتَ مِسحِي وَمَنطَقتني فَرَحًا» (مزمور ١١:٢٩). إنَّ لحضور النعمة الإلهيَّة بعد فترة الاختبار قيمة أعلى و «أَحلَى منَ العَسَلِ وَقَطرِ الشَّهدِ» (مزمور ١٠:١٩). لأنَّه يعزِّز إدراك المحبَّة الإلهيَّة أكثر ممَّا عرفته الرُّوح من قبل. كما يُحسِّن التواضع، إذ يُكْشَفُ عدم استحقاق الانسان مقارنة بقوَّة المحبَّة الإلهيَّة، وتعترف النفس بروحٍ مُنسحق: «خيرٌ لي أنِّي تذَلَّلتُ لكي أتعلَّم فَرائضك» (مزمور ٧٢:١١٨) ... «قَدْ عَلِمتُ يا ربُّ أنَّ أَحكامَكَ عَدْلٌ» (مزمور ٧٥:١١٨)... «تذَلَّلتُ إلى الغايةِ. يا ربُّ، أحيِني حَسَبَ كَلامك» (مزمور ١٠٧:١١٨). هذا الإحساس العميق بالتواضع يُوَسِّع قُدُرات الإنسان الرُّوحيَّة ويقدِّمه إلى عالم الحريَّة. نحنُ نَصِل إلى يسوعنا «الوديع والمتواضع القلب» في التواضع وهذا هو معنى «وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ» (يوحنا ٣٢:٨).

بعد ذلك، ندخل عالم الخليقة الجديدة والطبيعة المُستَعادة، حيثُ يكون الهواء والمناخ، حسب تعليم شيخنا المُبارَك، مُختَلِفَيْن. يُصبح من هُم في هذه الحالة أبناء العصر الجديد، بحسب القديس مكاريوس، ويُطَوِّرون نوعًا مُختَلِفًا من الحواس. «يُبْتَلَعَ الْمَائِتُ مِنَ الْحَيَاةِ.» (٢ كورنثوس ٤:٥). يتمّ إحياء حواسنا بالكامل بحيثُ لا تعود تتصرَّف بلا عقلانيَّة ولكن فقط «في عبوديَّة الْبِرِّ بِالْقَدَاسَةِ.» (رومية ١٩:٦). ولكن لا يَظِنَّنَّ أحدٌ أنَّ هذا الترف يكون في مُتناول أيٍّ كان وبلا جُهد، وإنَّما فقط بعد انتصاره على تجربة صعبة قِوامها الصبر في وجه التجربة، والتي من خلالها تَخْتَبِرُ النعمة الإلهيَّة المُجاهدين وتُجَرِّبهُم. «إنتظارًا انتظرتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إلَيَّ وسَمِعَ صُراخي. وأَصْعَدَنِي من جُبِّ الهَلاكِ، مِن طينِ الحمأةِ، وأَقامَ علَى صَخرةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُواتي» (مزمور ٣٩:١-٢). يأتي هذا القول من **مزامير داود** الذي يرغب في إعلان درجة الإطناب فيكرِّر كلمة (انتظارًا انتظرتُ): لقد ميّزت نفسي في حالة المُثابرة. هذا ما يَشُدُّ انتباه الرَّبِّ. وبعد ذلك « أخرجني من جُبِّ الهلاك، من طين الحمأةِ» (مز٣٩:٢). هذا هو الحرمان واليأس الذي يتبع التجارب القاسية. ثمَّ: «وَأَقَامَ عَلَى صَخْرَةٍ رِجْلَيَّ. ثَبَّتَ خُطُوَاتِي» (مز٣٩:٢)، «**الصخرة**» التي وضع قَدَمَهُ عليها هي حالة الحُريَّة المُكتَسَبة. «تثبيت الخطوات» هو فضيلة التمييز. هكذا تَتَجَدَّد «**الذَّات القديمة**». أولئك الذين قَبِلُوا المسيح بالإيمان، سيفهمون وعمَّا قريبٍ ما عَدُّوهُ غَرابَةً في تعاليمه حتى الآن على أنَّهُ الحقيقة المُطلَقة. يُدرك الإنسان عدم استحقاقه ويقترب من الآب الذي لا بَدء له. يَعُدُّ كُلَّ شيءٍ آخر وكأنَّهُ مصنوعٌ من الحجر وفاسد وعديم القيمة، وتَجذبه رَغبةُ الصلاة نحو الله الحيّ الشخصي. يُدركه عبر إخلائه لِذَاتِهِ، حين نَزَلَ إلى العالم السُفلي، إلى الجحيم، وَصَعِدَ لاحقًا فوق كُلِّ سماء وجَلَسَ عن يمين **الآب** لكي يُتَمِّم كُلَّ شيء. لذلك من الآن فصَاعدًا، هو الطريق، وفقط من خلاله يستطيع كُلُّ واحد منَّا أن يأتي إلى **الآب**: «لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي.» (يوحنا ٦:١٤).

يقول بولس الرسول: أنَّ المسيحيِّين ورثوا نعمة وفيرة أكثر ممَّا أُعطِيَ للأنبياء وللذين عاشوا قبل الناموس وفي الناموس. هُم أدركوا الأمور الإلهيَّة بطريقةٍ ظِلِّية وغامضة، فيما صرنا نحنُ «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ» (٢ بطرس ٤:١). لقد أدركنا بحواسنا و «وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا» (١يو١: ١) كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. وهو يشهد بنفسِهِ: « وَلكِنْ طُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ، وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ وَأَبْرَارًا كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا.» (متى ١٦:١٣-١٧). يؤكِّد لنا بولس الرسول أنَّ معرفة سِرِّ **المسيح** قد أُعطِيَت لنا **بالرُّوح القُدُس**، وهو أمرٌ « فِي أَجْيَال أُخَرَ لَمْ يُعَرَّفْ بِهِ بَنُو الْبَشَرِ» (أفسس ٥:٣). هذا السِّر عظيمٌ ورائع لدرجةٍ أنَّ على الكنيسة أنْ تُعرِّف الحُكَّام والسلاطين في السماوات «بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. الَّذِي بِهِ لَنَا جَرَاءَةٌ وَقُدُومٌ بِإِيمَانِهِ عَنْ ثِقَةٍ.» (أفسس ١٠:٣-١٢).

إنَّ جوهر هذا السِّر هو: أنْ نعرفه وقوَّة قيامته ونشترك في آلامه لنبلغ إلى «قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ.» (فيلبي ١١:٣). (هكذا تُصبح مُشاركة للآية ...) إنَّ **الرَّبَّ القائم** والجالس عن يمين **الآب**، قد نَزَلَ إلى أسافل دركات الأرض. لذلك، فإنَّ الطريق الذي يقودنا إليه يتطلَّب مِنَّا أنْ نُخلي ذَواتنا بالأَلم. هذا هو سبب وجود مرحلة التجارب المختلفة، لقد شَوَّهت صورتنا الفاسدة مَلَكَات عقلنا. لذلك فإنَّ الوصايا « «كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ» (١بطرس ١٦:١). و «كُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.» (متى ٤٨:٥). يجب أنْ تَصير واجبنا المُطلَق. «بِضِيقَاتٍ كَثِيرَةٍ يَنْبَغِي أَنْ نَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ.» (أعمال ٢٢:١٤). وَبِحَقٍّ «كثيرةٌ هِيَ أحزان الصِّدِّيق» (مزمور ١٩:٣٣). إنَّنا بالجهاد الشديد والمقاوم للقوانين اللاعقلانيَّة التي تؤثِّر على جسدنا الفاسد، نصل إلى قناعة أنَّ النعمة الشافية سَتُصلِحنا . لهذا السبب تَبَنَّى آباؤنا الأبرار محبَّة العمل الجادّ حتَّى إلى حَدٍّ يفوق قُدراتهم. لقد فَهِموا معنى القول: «أَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَهُ فَسَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ.» (٢ تيموثاوس ١١:٢). وأبطَلوا بالفعل أعضاءهم الجسديَّة. وهكذا أصبحوا مُستحقِّين لِلبسِ صورة الإلهي. لقد تعلَّموا بالتجربة أنَّه قبل أن يَدخلُوا الحياة يجب أنْ يَمُرُّوا بالجلجلثة. لذلك، لم يسمحوا لأقدامهم المتعبة بالسير بالطريق العريض السهل. (متى ١٣:٧). بل سَلكوا الطريق الضَيِّق الشديد الانحدار طوال حياتهم، للوصولِ إلى مُخلِّصهم **المسيح**، الذي ماتَ وقامَ من أجلهم.

يَعِدُ رَبُّنَا مَنْ يُريد أنْ يتبعه مُنكِرًا ذاته كما ينبغي، بِمُكافأة مئة ضعف في هذه الحياة وبِمَلكوته الأبدي في الحياة الآخرة. لا يَقصِد بمُكافأة «مئة ضعف» الخيرات الماديَّة أو تقدير الناس، بل المواهب الرُّوحيَّة

التي تُنعِش الرُّوح، والمُعاينات الفائقةِ الطبيعة، التي تجعلنا قادرين على التواصل مع الأسرار الإلهيَّة. وذلك: «لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَنا» (لوقا ١٧: ٢١). فإنَّه لا يَخفي أسراره عن الشخصِ الذي يلتزم بِمَبادئه. بل يستجيب لِزَفرات قلبه الصَّامت بطريقة أُموميَّة، ويكشف له ما هو محفوظ له في المستقبل. كما يُريهِ الذين عاشوا قَبلَه وكيف يُشارِكون الآن في المجدِ الإلهي بقدر كفايتهم.

إنَّ ثمار **الرُّوح القُدُس**، المواهب الإلهيَّة التي هي قُوَّة الكنيسة، يتقاسمها مُحبُّو **الله** والمُقاتلون المجاهدون. وبهذه الطريقة، فإنَّ مَن يَحيَون حياةً وضيعةً ومُحتَقرةً خلال فترة جهادهم يصيرون لاحقًا موثوقين ومُحترَمين، لأنَّهم يُقدِّمون الدعم والرَّاحة للمؤمنين. إذ إنَّهم قد «تعلَّموا مِنَ الله» وَيُخرِجون «مِنْ كُنُوزِهِم جُدُدًا وَعُتَقَاءَ».(متى ١٣: ٥٢). « الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ.» (غلاطية ٥: ٢٤). و «يَعِيشون فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ.» (٢ كورنثوس ٥: ١٥). مِنَ الواضح أنَّهم يُشاركون إيضًا في مواهبه. «فَإِنَّهُ لِوَاحِدٍ يُعْطَى بِالرُّوحِ كَلاَمُ حِكْمَةٍ، وَلآخَرَ كَلاَمُ عِلْمٍ بِحَسَبِ الرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ إِيمَانٌ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ، وَلآخَرَ مَوَاهِبُ شِفَاءٍ بِالرُّوحِ الْوَاحِدِ. وَلآخَرَ عَمَلُ قُوَّاتٍ، وَلآخَرَ نُبُوَّةٌ، وَلآخَرَ تَمْيِيزُ الأَرْوَاحِ، وَلآخَرَ أَنْوَاعُ أَلْسِنَةٍ، وَلآخَرَ تَرْجَمَةُ أَلْسِنَةٍ. وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ، قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ، كَمَا يَشَاءُ.» (١ كورنثوس ١٢: ٨-١١).

إذا كانت كُلُّ هذه وغيرُها مِنَ المواهبِ، التي يُوَزِّعها **الرَّبُّ** على الذين يُحبُّونه، ليست سوى مئةِ ضعفٍ من تلك التي تَخَلَّوا هم أنفسهم عنها ليتبعوه، فما مِنْ أحَدٍ يقدر أنْ يَصِفَ مدى عَظَمة المواهب الأبديَّة بعد التجديد. لقد سَمَحَ للأتقياء استيعاب مثل هذه العظمة «جُزئيًّا» فقط لأنَّهم ما زالوا في (الكنيسة المُجاهدة) *(στρατευομένην)* ، (ستراتيقوميني). لا يقدر أحد أن يَحكُم على «الرُّوحيِّين والأمور الرُّوحيَّة»، لكن الرُّوحيِّين وحدهم يَحكمون على كُلِّ شيء. لذلك فنحنُ غير قادرين على تقييم أيِّ شيء، ولكن يمكن أن نَصِفَ قليلًا فقط ما اعترفوا به لنا. إنَّ المواهب الرُّوحEيَّة هي عطايا من **الرُّوح الكُلِّي قُدسه** ذاته؛ بعضها (أي المواهب) يسبق والآخر يَلِي. ولكنَّ الكُلّ يُعطَى، جميعُها تُعطَى للكنيسة لتلبية احتياجاتها، وبالتالي يُكشَف عنها في الظروف المُناسبة لمُساعدة المؤمنين. بعض المواهب، كالنبوءة والشفاء، توصف بِأَنَّهَا «تمهيديَّة». بالنسبةِ للبعضِ، تُعطَى موهبة الشفاء بحسب إيمانهم، بينما تُمنح موهبة النبوءة لِمَن ضميرهم أكثر صَرامة. تُعطَى موهبة النبوءة أحيانًا على مراحل من خلال التبَصُّر الذي يبدو بالغالب كبقايا من شخصيَّة الإنسان الأصليَّة التي أفسدها السقوط. قد يظهر التبَصُّر أيضًا بين الأقارب. لذلك، فالكثير من الأُمهات لديهنَّ حِدْسٌ حول مُعاناة أطفالهنَّ، أو يتشارك التوائم في آلام بعضهم البعض حتى عندما يكونون بعيدين عن بعضهم البعض.

تظهر هذه الموهبة أحيانًا بين المؤمنين في مرحلتهم الرُّوحيَّة الأولى، بمجرَّد أنْ يبدؤوا بعيشِ حياة التقوى ويتطَهَّروا من الخطيئة. كُلّ تَقَدُّم روحي يُعَزِّز البصيرة إلى مستوى الرؤية. إذ وَصَل العقل إلى النور بنعمة **المسيح**، فإنَّ مواهب التَبصُّر والتنبؤ تُمنح بمشيئة **الرُّوح القُدُس**. مواهب **الله** موجودة دومًا بوفرةٍ في بُسَطاء الشخصيَّة الذين يُشبهون الأطفال روحيًّا. تُمنَح كُلُّ المواهب إلى عاشقي المحبَّة الإلهيَّة المُتَحمِّسين، مثل بولس الرسول الذي كان يُفكِّر: «بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (في٣: ٨). قلَّة قليلة من الناس في كُلِّ جيل يُمنَحون مثل هذه الموهبة. ينظر الآباء إلى التمييز على أنَّهُ «أسمى الفضائل كُلِّها». لذلك لن نُخطئ إذا وضعنا هذه الفضيلة في أعلى مرتبة. ما هو التمييز غير أنَّهُ «العيون الرُّوحيَّة»، التي تُدرِك وَتُمَيِّز أسرار العالم الطبيعي والرُّوحي في جميع الأبعاد مثلما يفعل **الشيروبيم**. إنَّ وصيَّة **الرَّبِّ**: «لِيَكُنْ لَكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ مِلْحٌ» (مر٩: ٥٠). ليست بعيدة عن معنى فضيلة التمييز. «اَلْحَكِيمُ عَيْنَاهُ فِي رَأْسِهِ» (جا ٢: ١٤). ماذا تعني هذه الآية غير «عيون» التمييز؟ كم مرَّة وَصَفَ لنا شيخنا المُبارك (القديس سلوان الآثوسي) هذه الفضيلة وكم مرَّة كَتَبَ عنها آباؤنا من تجربتهم الخاصة؟ إنَّ الذين أُنْعِمَ عليهم برائحة فضيلة **الرُّوح القُدُس** هذه من آبائنا، كانوا دائمًا محور اهتمام أبناء جيلهم، الذين يُقربونهم لمعرفة مشيئة **الله** وَحَلِّ تساؤلاتهم الشخصيَّة.

إنَّ هؤلاء الناس هم مثلُ: **الأنبا بيمن** – منارة التمييز الحقيقي، الشيخان العظيمان **بارسانوفيوس ويوحنا** أساتذة الشريعة الرُّوحيَّة، **مرقس الناسك، مكسيموس المعترف** وكثيرون آخرون، الذين طالما اعتُبروا «أصحاب البصيرة» بين جماعة الكنيسة. هؤلاء الناس، كمُشاركين في موهبة **الرُّوح** المُنيرة بالكُليَّة، يُكَرِّرون مع بولس الرسول: «لِئَلاَّ يَطْمَعَ فِينَا الشَّيْطَانُ، لأَنَّنَا لاَ نَجْهَلُ أَفْكَارَهُ.» (٢ كو ٢: ١١). إنَّهم أنقياء القلب، وقد تَكَمَّلوا في الطَّاعة والخضوع وأنكروا مشيئتهم بشَكلٍ كامل؛ إنَّ ضميرهم مستقيم وليست لديهم أيَّةُ أنانيَّة على الإطلاق؛ يُثابرون على العمل الرُّوحي بالصلاةِ الربَّانيَّة، ويحفظون ذكر **الله** باستمرار في أذهانهم؛ إنَّهم يواظبون بِجِدٍّ في وجه التجارب. أنَّ هؤلاء الأشخاص مُعتَرَفٌ بهم بأنَّهم الحَفَظَةُ الحقيقيون لأسرار **الرَّبِّ**، وقد كوفِئوا بفضيلة التمييز. إنَّهم يُصبحون مناراتٍ روحيَّة للناس، والعيون الرُّوحيَّة للكنيسة، وكاسِري أمواج الشِّرير. إنَّ وصيَّة **الرَّبِّ** بأن يعمل الإنسان ويحفظ (أنظر تكوين ٢: ١٥) تنطَبِق عليهم تمامًا، فيصبحون قادرين على رِعاية قطيع **المسيح**.

لذلك بعد **الله** فلنعتبر ضميرنا الحارس الذي لا ينام، والحُكم الذي لا لُبْسَ فيه لِكُلِّ فِعلٍ من أفعالنا. «بعد ذلك، إذْ نُدرك اتجاه الريح، نفتح أشرعتنا وفقًا لذلك» (**القديس يوحنا السُلَّمي، الفصل ١١، الفقرة ٥**).

**اسمعوا هذه القصّة: ما أنْ بدأ أحد الرهبان يستعدّ للصلاة حتّى ألمَّ به وجعٌ كبير وحُمَّى قويَّة بالإضافة إلى صداع في الرأس أزعجه كثيرًا. عندها قال في نفسه: «أنا الآن مريض وفي لحظة لا أعرفها سأموت! هلمَّ بي أنهض أبدأ بالصلاة قبل أن أموت». بهذا الفكر شدَّد نفسه وابتدأ يصلِّي قانونه المعتاد. حالما انتهى من الصلاة، انتهى معها الألم والوجع والحُمّى.**




«لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتٌ» (**الجامعة ٣:١**).

يحذِّرنا الرسول بولس من هَدْرِ الوقت، وبحقٍّ يعلّمنا أنْ نستفيد من كُلِّ دقيقة في حياتنا بحكمة: «فَانْظُرُوا كَيْفَ تَسْلُكُونَ بِالتَّدْقِيقِ، لاَ كَجُهَلاَءَ بَلْ كَحُكَمَاءَ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ لأَنَّ الأَيَّامَ شِرِّيرَةٌ.» (أف ٥:١٥-١٦).

في الحديث عن افتداء الوقت يُوَعِّينا الرسول إلى أنَّ الوقت يُستَعمَل لشراء بركات حقيقيَّة تمامًا كما أنَّ المال يُستَعمَل لامتلاك ما نحتاجه في حياتنا الماديَّة، وبالتالي الاستعمال الموافق للوقت مشابه جدًّا لاستعمالِ المالِ في اليدي الحسنةِ. السيِّد الحكيم لا يبذِّر بغباء، يجمع ممتلكاته كما ينبغي، ويحدِّد هدفًا خاصًّا لكُلِّ مبلغ من المال. علينا أنْ نعالج المال بطريقة مشابهة: نُحدِّد السَّاعات والدقائق لهذا الهدف الصَّالح أو ذاك، نفتدي كُلَّ يوم بالأعمال الصالحة لأنفسنا وللآخرين. كُلُّ سنة تمرّ هي مثل دَرَجَات كثيرة على طريق الكمال الرُّوحي على عدد الأيام في السنة، ولا ينبغي أنْ تضيع أي ساعة بما هو غير ضروري، أو بعدم القيام بأي عمل، وفي آخر الأمر استعمالها للقيام بعملٍ خاطئ.

يبدأ اليوم عادةً بالقيامِ من النومِ. كيف ينبغي بنا أنْ ننظر إلى لحظة النهوض؟ تمامًا مثل اعتبار لحظة ولادتنا إلى العالم، أو عند القيام من بين الأمواتِ، لأنَّ هناك تشابُهًا كبيرًا بين القيام من النوم والولادة. أثناء النوم نكون وكأنَّنا غير موجودين. عندما ننهض من النوم نكون وكأنَّنا وُلِدنا من جديد، نعود أحياء نُقام.

الوقت الذي يلي النوم مباشرة ينبغي تمضيته في الصلاةِ قبل كُلِّ شيء. كُلُّ صباح يحمل لنا السعادة الورِعة لتمجيد الله الخالق لأنه سمح لنا مرَّة جديدة أنْ نرى عالمه المُصَمَّم بشكلٍ فائق الجمال من أجلنا.

في بداية اليوم نحن نبدأ حياة جديدة، وفي الحياة هناك مجالات كثيرة للتجربة والخطيئة لا يستطيع أنْ يتخطاها الإنسان الضعيف من غير معونة الله التي يكتسبها بالصلاة فقط. ومن ثمَّ، ينبغي قضاء وقت في قراءة كلمة الله: إنَّه كتاب الحياة ويحتوي كُلَّ ما نحتاج إلى معرفته أو عمله أو التطلُّع إليه. بحسب **القديس يوحنا الذهبي الفم**، إنها رسالة الله إلى كل الجنس البشريّ. مَن لا يُغَذِّي نفسه بالعطيَّة السماويَّة **يُجَوِّعُها**.

بعد هذا، يأتي وقت النشاط، وقت العمل. لكلٍ منَّا مهماته، أشغاله، وظيفته، حاجاته الخاصة. ولكن مهما كانت هذه، هناك قانون جوهري للجميع: «لاَ تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ بَلْ فَاهِمِينَ مَا هِيَ مَشِيئَةُ الرَّبِّ» (أف ٥:١٧)، اي عند بداية كل عمل اسألوا أنفسكم إذا كان موافقًا لمشيئةِ الرَّبِّ.

كيف ينبغي أنْ نقضيَ وقت الترفيه أو الرَّاحة؟ في تطبيق كلمات الرسول التالية: «مُمْتَلِئِينَ بِالرُّوحِ مُكَلِّمِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ» (أف ٥:١٨-١٩). أي إذا أردتم أن تقرؤوا خلال وقتكم الحرّ، اقرؤوا ما يكشف لكم حكمة الله. أترغبون بالخروج إلى المجتمع؟ أخرجوا، لكن حافظوا على المناقشة الورعة، المحادثة الحكيمة، النصائح والأحاديث الحسنة. أترغبون بالغناءِ والموسيقى؟ غَنُّوا ولكن بشكلٍ خاص تلك الأغاني التي فيها تدفّقات النفوس النقيَّة النبيلة. يمكن للأغاني الدنيويَّة أنْ تُفسد النفس بتمجيدها الأهواء والرذائل وحماقة الإنسان.

بتعابير أخرى، قوموا بما تقومون به بالعادة ولكن بالمقابل: استبدلوا الشهواني بالرُّوحي، الجسدَ بالرُّوح، والدنيويّ بالدِّيني.

## من أقوال أمّنا البارّة ميلاني الجديدة:

المحبّة الحقيقيّة نحو الله والآخر نعرفها من الكتاب المقدّس. فلنستفِدْ منها ولنحفظها جيدًّا. ولنعرف أنّه من دون المحبّة كلُّ جهاد وفضيلة باطل. يستطيع **الشيطان** أن يقوم بكل هذا وربما بأفضل منه، ولكنّه يُغلَب **بالمحبّة وتواضع الفكر**.

نحن نصوم، **الشيطان** لا يأكل البتّة. نحن نسهر، **الشيطان** لا ينام. علينا أن نكره **الكبرياء** إذ بواسطتها سقط ذاك من السماء وبواسطتها يريد أن يجتذبنا نحوه لنعيش بقربه. لنهربْ من **المجد الباطل** الذي للعالم الحاضر الذي يجذب كالزهر الجميل. لنحفظْ **إيماننا الأرثوذكسي** الذي هو أساس وركيزة الحياة في **المسيح**. لنضعْ هدفًا لنا أن نقدِّس أنفسنا وأجسادنا إذ بدون هذا كلّه لن نرى وجه **الرَّبِّ يسوع**.




«أُخرج من هنا أيُّها السِّكّير المتسكِّع المُفْلِس. لنْ تشرب من هذا المحلّ نقطة واحدة قبل أن تدفع ثمنها. أُخرج وإلّا استدعيت الشُّرطة لطردِكَ من هُنا». هكذا طُرِدَ **توم كونور** من إحدى الحانات، ولكنَّه قبل أنْ يَخرُج التفتَ إلى الزبائن الآخرين، وقال لصاحب الحانة:

«لقد وصلتُ هذه المدينة منذ ثلاثة أيّام، وكنت خلالها أتسكَّع على أبواب المطاعم لأستجديَ الناس لقمة خبز يابسة. ولكنّي لم أكُن كذلك، فلقد كان في مقدوري أنْ أشتري عشرة أمثال هذا المحلّ. كنت رجل أعمال ناجحًا، وكانت لي عائلة سعيدة موفورة الهناء، ولكن المسْكِر والخمر سبَّبا خرابي. وأنا الآن، وحيدٌ في هذا العالم لا أَجِدُ مَنْ يُحبُّني أو يعتني بي. صحيح أنّي لا أملك ثمن الكأس التي أطلبها، وصحيح لست إلّا سكّيرًا مُتسكِّعًا، وسأخرج كما تُريد، ولكن قبل أنْ أغادر هذا المكان أقول لكم أيُّها الرِّفاق المحترمين : انظروا إليَّ وإلى هذه الثياب القَذِرَة البالية، وخذوا لأنفسكم عبرة وموعظة. فلأجل خاطر السماء اتركوا هذا المكان اللعين، لأنَّه سيوصلكم إلى نفس النهاية التي وصلت إليها أنا».

خرجَ **توم كونور** هائمًا على وجهه يسعى في شوارع المدينة على غير هُدى، فمرَّ في طريقه على **إحدى الكنائس**، ورأى الناس يدخلون إليها، فقال في نفسه: «إنَّ أمثالي ليس لهم هنا مكان». ولكنَّ ترنيمة شجيَّة شدَّته، فوقف يسمع جموع المرنِّمين ترنِّم: **«المسيح قام من بين الأموات...»**. وقف **كونور العجوز** يستمع إلى هذه الترنيمة التي سمعها لآخر مرّة منذ وقتٍ طويل جدًّا، وكأنَّه لم يسمع قط نغمات شَجيَّة مثل هذه في كلِّ حياته. ورغمًا عنه حملته أقدامه إلى الداخل، وجلس على كرسيّ قرب أحد الاعمدة، وأخذ ينصت لما يقوله **الكاهن**، وإذا به يسمعه يصلّي صلاة حارّة من أجل الخطأة المساكين المشرَّدين في مسالك الشرّ. تَفتَّح قلب **كونور** لهذه الصلاة، وهاجت ذكريات الماضي، وأخذ يبكي ويكفكف دموعه. لقد تذكَّر بيته المريح اللطيف، وتذكَّر زوجته التي كانت تُرنِّم بصوتها الرَّخيم هذه الترنيمة نفسها، فبكى وبكى وعاش في ذكريات الماضي. لقد مرَّ بخاطره كيف ذهبت نضارة صحته، وعبث به **شيطان الخمر** فانتزع منه زوجته. وكيف غادره السَّلام، وكيف ضاع ألبيت الجميل، وبيعت مفروشاته الأنيقة لإشباع شهوة السُّكر. وكيف شحب وجه زوجته بسبب دأبها يومًا بعد يوم، أمام طست الغسيل لتكسب أجرًا ضئيلًا لسدِّ رمقها ورمق طفلها وزوجها السِّكّير. وأخيرًا مرَّ بخاطره منظرها وهي مسجّاة في كفنها البالي داخل صندوق بسيط من خشب الصنوبر، **وكيف ذهب بابنها إلى ملجأ لليتامى**. ثمّ استعرض صُوَر سكّير متشرّد بائس يهيم على وجهه عشرين سنة كاملة يستعطي دِرهمًا من هذا، ويستجدي لقمة من ذاك بلا احترام ولا كرامة. فقال متحسّرًا: «آه، يا ربّ، لِمَ لم أَمُتْ قبل أنْ تموت هي؟ ولماذا أعيش بعد؟».

وكانت الخدمة قد انتهت، وأعلن **الكاهن** أنّ خدمة الغَدِ تبدأ في الساعة السابعة والنصف. وهنا نهض الرجل العجوز، وتسلَّل إلى الخارج قبل أن يراه الناس. ولم تكد الساعة تدق السابعة في مساء اليوم التالي حتّى كان **توم كونور**، مرّة أخرى، يجلس في الكنيسة. ولم تكن الخدمة قد بدأت بعد، فتقدّمت إليه فتاة رقيقة، وقالت له: «اسمح، يا مستر جونسون، بفتح درج المنضدة، لأنّي أريد كتابًا لوالدي قبل أن تبدأ الخدمة». فنهض الرجل العجوز واقفًا، وخلع قبّعته القذرة، وقال لها: «عفوًا، يا آنسة، أنا لست مستر جونسون». فقالت الفتاة: «إنّي أعتذر لقد ظننتك القندلفت». فَهَمَّ **كونور** بالخروج، فقالت له الفتاة: «لماذا تخرج؟ تعال واقترب من الصفوف الأماميَّة لتسمع جيِّدًا، إنّ الخدمة ستبدأ سريعًا». فردَّ بسرعة: «لا. لست أهلًا لأن أوجد في مكان نظيف مثل هذا، وقد لا يرغب الكثيرون في أن أجلس إلى جوارهم.» فأجابت الصبيَّة: «كلا، بل إنّهم يرحّبون بك. إنَّ والدي هو الكاهن. وهو يحبّ أن يأتي إليه الشيوخ المتقدّمين في السنّ ليسمعوه». ثمّ أمسكت بيده قائلة: «إنّي أؤمن بأنَّ الرَّبَّ يسوع يحبّك ويستطيع أن يجعلك رجلًا صالحًا إن كنت تدعه يفعل ذلك. أرجوك أنْ تأتي لتسمع هذه الترنيمات الجميلة، وأنا واثقة أنّك ستكون مسرورًا».

وسار **توم كونور** معها إلى الصفوف الأماميَّة يتعثَّر خجلًا، ولكن سرعان ما ملكت النغمات والترنيمات على مشاعره، وكانت الصلوات التي أعقبتها حارَّة وعميقة ملؤها المحبَّة، حتّى خُيِّل إليه أنَّ كلَّ الصلوات التي قُدِّمت في ذلك اليوم كانت لأجله. ثمّ قام **الكاهن** وتلا الفصل الخاصّ بالابن الضالّ، وتكلّم الكاهن عن **محبّة الله** للخطأة الهالكين، وعن رحمته العجيبة بكلمات لم يسمعها **كونور العجوز** من قبل. ثمَّ ختم كلمته بهذه العبارة : **«إنَّ أبانا السماويّ المُحبّ فاتح**

**ذراعيه ليرحّب بكلّ ضالّ شريد، ويقبّله بقبلة الغفران، ويلبسه حلّة البِرّ الأولى إن كان يريد أن يُقبل إليه»**. ثمّ ما لبث أنْ انصرف الحاضرون، وبقي ذلك الرجل العجوز منكّس الرأس يشهق بالبكاء كطفل صغير، ولكنّه شعر بيد رقيقة توضع على كتفه، فرفع بصره ووجد الفتاة اللطيفة أمامه وهي تقول: «إنَّ الرَّبَّ قادر أن يُخلِّصك. تعال إليه وثق به، وهو سيساعدك، فهو لا يردّ تائبًا نادمًا». وقادته الشابّة إلى حيث كان أبوها، **فمد الكاهن** يده إلى الرجل مُباركًا، فقال **كونور**: «يا سيّدي، إنّني إنسان بائس، وكنت أظنُّ أنَّ لا رجاء لأمثالي، ولكنَّك قلت في هذه الليلة إنَّ الله يرغب في خلاص الجميع». ثمّ أخذ **توم** يسرد تاريخ حياته، فلمّا وصل إلى ختام القصّة احمرّت وجنتا **الكاهن**، وانهمرت دموعه، وقال للرجل باضطراب: «ما اسمك؟»، فقال: «توم كونور، وقد اشتهرت باسم العجوز السكّير». **فصاح الكاهن** قائلاً: «أبي... أبي!!»، وضمَّ الرجل إلى صدره، وقبّله وهو يقول: «أبي أنا ابنك الذي تركته طفلًا في ملجأ اليتامى. لقد بحثت عنك طويلًا، وأخيرًا ظننت أنّك مُتَّ». ثمّ عرف الأبُ قصّةَ ابنه، وكيف خرج من الملجأ، وعاش وسط عائلة مسيحيَّة تبنّته وأحسنت تربيته، وصار **خادمًا للرَّبِّ**.




الفترة الممتدة لستة أسابيع قبل عيد الميلاد هي فترة صوم. في هذه الفترة نجد أنفسنا في حال من الانتظار **لمجيء المسيح**. ومع أنَّه، كسائر الأصوام الأخرى، فيه عنصر مِنَ التهيئة إلَّا أنَّه يختلف عن **الصوم الكبير وصوم السيِّدة من حيث قوانين الصيام وأشكاله**.

نؤمن في الكنيسة الأرثوذكسيَّة أنَّ الصوم والتواضع والتوبة تؤهّل الإنسان للاقتراب **من الله** بالتخلّي عن الملذّات. صحيحٌ أنَّ الصوم يؤثّر على الجسد إلَّا أنَّ التركيز هو على **الوجه الرُّوحي** أكثر منه على الوجه الجسداني. يرى اللاهوت الأرثوذكسي جمعًا بين الجسد والنفس، فكلّ تأثير على الأول يؤثّر على الآخر. لذا، ليس كافيًا أنْ يُصام عن الطعام بل ينبغي أيضًا الامتناع عن **الغضب والجشع والحسد**، وبالمقابل أنْ تُفعَّل **أعمال البِرِّ والخير والإحسان وتُضاعَف**.

في صوم الميلاد، لا نشهد تغييرًا ليتورجيًّا إلَّا في الأحَدَين الأخيرين، حيث نتذكَّر كلّ الذين لعبوا دورًا في التهيئة **لمجيء المسيح**، من أجداد يسوع إلى الآباء والبطاركة والأنبياء. إلى هذا، نلاحظ أنَّ أعياد أغلب أنبياء العهد القديم، الذين تنبئوا عن التجسّد، تقع في هذه الفترة، **كعوبديا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجاي ودانيال والفتية الثلاثة** الذين نؤمن أن حفظهم في أتون هو إشارة **إلى حمل والدة الإله مريم للألوهة في بطنها دون أن تحترق**. لا نرى تغيرًا ليتورجيًّا فعليًّا إلَّا في الأيام الأخيرة الخمسة، أي الممتدة من تقدمة العيد في العشرين من كانون الأول إلى البارامون في الرابع والعشرين منه. في هذه الأيام تُرتّل ترانيم العيد يوميًّا، وبعض الكنائس تغيّر لباسها، أي غطاء المائدة وستائر الهيكل، إلى الأبيض.

من جهة الأطعمة، نمتنع في صوم الميلاد عن الزفرَين، أي اللحوم والبياض، ما عدا السبوت والآحاد وأعياد القديسين الممتازة التي تقع في تلك الفترة (دخول السيدة، كاترينا، بربارة، سابا، نيقولاوس، إسبيريدون وأغناطيوس الأنطاكي) حيث يمكن أن نأكل سمكًا. هذا الترتيب يمتّد في بعض الكنائس إلى **عيد القديس إسبيريدون** في الثاني عشر من كانون الأول (شرقي)، ويمتّد في غيرها إلى عيد القديس أغناطيوس وتقدمة الميلاد في العشرين من كانون الأول.

**بارامون العيد في الرابع والعشرين من كانون الأول هو يوم صوم كامل إلى ما بعد القداس الإلهي الذي يُقام في خدمة السهرانية إلَّا إذا وقع يوم سبت أو أحد.**

على نفس القدر مِنَ الأهميَّة، لا بل ما هو أكثر أهميَّة من الأطعمة والمواعيد، هو استعدادنا للعيد. في أغلب الأحيان نحن في عَجَلَةٍ، نريد أنْ نستعجل الأيام. لكن غالبًا ما يكون استعدادنا **مغمورًا بالتزيين والشراء وبعض الحفلات أو التحضير لها**. من هنا أنَّ علينا أن ننظِّم أنفسنا بالصبر وضبط النفس، بقراءة الكتاب المقدّس، خاصةً النبوءات التي تتكلّم عن مجيء **المسيح**. علينا أنْ نركِّز على طريقة الحياة المسيحيَّة التي تدعونا إلى التضحية وعمل الرحمة وتقديم ما أُعطينا من وقت ومواهب وإمكانيات لِمَن يحتاجها. ما من طريقة لتقليد **المسيح** أفضل من أنْ نكون محبّين ومحسنين. علينا أن نعيد **المسيح** إلى عيد الميلاد، أن نجد معنى العيد في استيعابنا **لأهمية تجسّد ابن الله** واتّخاذه جسدًا. ينبغي أن نتذكَّر أنَّ السبب الحقيقي لوجود العيد هو **أنَّ يسوع المسيح** أتى إلى العالم وسكن بين الناس وحمل خطايا العالم لكي نجد حياة فيه. التهيئة ليست أشكال العيد وحسب، وليست الاحتفالات التي هي للعيد نفسه، إنّها زمان مهمّ قوامه **التوبة** بالدرجة الأولى.




« وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، تَبِعَهُ أَعْمَيَانِ يَصْرُخَانِ وَيَقُولاَنِ: «ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ!» (متى ٩:٢٧). كأنَّ الكنيسة المقدسة أيُّها الأخوة بإيرادها، في الإنجيل، قصة الأعميين، تثبت الذنب علينا. فالأعميان، حُرما جسديًّا من نعمة البصر، وروحيًّا من نور المعمودية. ومع هذا فمن تَبِعَا، وفي أثر من سَارَا، وممن سألا الرحمة عند الحاجة؟ الأعميان، في الإنجيل اليوم يتبعان **المسيح**. وأما نحن الحاصلين على العيون الجسديَّة الصحيحة والمتنورين بمعمودية **المسيح**، **من نتبع، وفي أثر من نسير؟**

إنَّ السيِّد يسوع **المسيح** أتى من السماءِ ليفعل الخير؛ أمَّا نحن فلا نكاد نفعل غير **الشَّرّ**. إنَّ **الله الإنسان** أتى كي يقيم الأموات ولكن، يوجد بيننا أناس يميتون الأحياء. لقد أتى الفادي الإلهي واحتمل الجوع والعطش وكلّ فاقة، أما نحن فنريد أن يتوفّر لنا كلّ شيء. فيا لَلْعَارِ! إننا نؤمن بالإنجيل القائل: طوبى للمساكين، طوبى للحزانى، وفي الوقت نفسه نجمع الثروة ونهتمّ للملذات الدنيويَّة كلها! يا له من تباين مُخجل في نفسك! إنَّكَ تحترم **المسيح** وتكره تواضعه وتخاف من صليبه. إنَّهُ لَعَارٌ أنْ يُفَضَّلَ العَبْدُ على سَيِّدِهِ! لا يليق بِكَ أن تُزيِّن أعضاء الجسد تحت رأسٍ كُلِّلَ بشوكٍ. فكُنْ واحدًا من اثنين: إمَّا مسيحيًّا وهميًّا، واعترف جهارًا بأنَّ الله الإنسان قد أخطأ باختياره الفاقة والعار والآلام؛ وإمَّا أعمى البصيرة، واعترف صراحةً بذلك، وبأنّك قد تحوّلت عن المخلّص.

إذن! أنتَ مُخطئ في طموحك إلى جمعِ الثروة، وفي اندفاعك إلى الملّذات والمجد العالي. أفلا يجب أن نلتجئ إلى السيِّد يسوع **المسيح** في وقت الأحزان والحاجة؟ ألسنا نسأله تَعَالى الرَّحمة والمساعدة؟ وإذا اختلس الأشرار مقتنيات أحدٍ منكم فإلى مَن يشكو ظلامته؟ أيُسرع إلى **الله** أم إلى **الشيطان** شاكيًا مَن ظَلَمَهُ؟ ثِقوا بأنَّ مثل هذا الإنسان مسيحيّ بالاسم فقط، أمَّا بالحقيقة فهو وَثَنِيٌّ لأنه لا يؤمن **بالله** بل **بالشيطان**. هو بالاسم عبد للمسيح، وبالفعل يطيع الشيطان. هو حيّ اسميًّا، أمَّا فعليًّا فهو مائت حسب قول القديس الرسول: «لأَنْ لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ» (رومية ٩:٦)، بل يجوز أن يُقال فينا: ليس جميع الذين من المسيح مسيحيِّين، لأنَّ الكثيرين يحملون اسم المسيح فقط، أما حياتهم فغير مسيحيَّة، ولا يتبعون السيد المسيح مُطلقًا.

لقد عاش **المسيح** على الأرض وديعًا زاهدًا قنوعًا طاهرًا. أمّا نحن فالكثيرون مِنَّا ويا للأسف يصرفون عمرهم في **الملذَّات الجسديَّة والخصام والحسد**. لقد شُتِمَ **المسيح المخلص** ولم يقابل بالمثل، احتمل الآلام وصلى من أجل أعدائه. أمّا نحن فبالعكس، نشتم من يباركنا لا من يشتمنا، ونبذل الجهد لننتقم من القريب ولا نصغي لصوت السيِّد: « إِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلاَتِهِمْ، لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضًا زَلاَتِكُمْ.» (متى ٦:١٥) لم ينطُق **المسيح** بكلام فارغ. أمَّا نحن فلم نَفْتُرْ عن ذلك. ندين الآخرين، وننمُّ القريب، لا نرحم شرفًا، ولا سمعة حسنة، ولا سعادة، فيتمّ فينا قول الله: «حلوقهم قبور مفتحة» (مز ٥:١٠) لا نفكّر بأن إثم دينونة القريب والنميمة عظيم بمقدار إثم السرقة واختلاس مال الغير، ناسين أنَّ الإنسان سيؤدّي حسابًا للسيِّد **يوم الدينونة الرهيبة** عن كل كلمة بَطَّالةٍ. إنَّ السيد **المسيح** كان متواضعًا ومطيعًا. أمّا نحن أيها الأخوة فكيف نتشبَّه بآلام السيِّد؟ إنَّنا نرغب في أن نكون مع السيِّد على ثابور وليس على الجلجلة. نرغب أن نتزيَّن مع **ابن الله** بإكليل المُلك في السماء، لا أنْ نشاطره إكليل الشوك على الأرض. نريد أن نتبع **الله الإنسان** حتى كسر الخبز فقط لكي لا نسمع قوله: «مَنْ لَا يَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي، فَلَا يَسْتَحِقُّنِي.» (متى ١٠:٣٨). فما هي الأدلة التي تثبت أنك مسيحيّ؟ أهي المكان أو اللباس أو الطعام أو الأعمال؟ إنها ليست بالمكان لأن المكان المسيحيّ الحقيقي بيت السيِّد (الكنيسة)، أما نحن فنرغب أن نقضي الوقت **في البطالة وحضور الحفلات**. ولا باللباس، لأنَّنا لا نرتدي ثوبًا بسيطًا كما ارتدى **المسيح** بل نجتهد في انتقاء الملابس الفاخرة. وليس بأقوالنا، لأنه يلذّ لنا أن نحلف باطلًا ونذين القريب، وكثيرًا ما نتلفَّظ بالكلام البذيء. ولا بالطعام، لأنه أجدر بنا أن نُحسب من تلاميذ **أبقراط** لا من أتباع السيد **المسيح** لاندفاعنا فقط إلى المآكل اللذيذة والامتلاء منها. ولا بالأعمال، لأن أعمالنا ملأى **بالخداع والسيئات**.

فإذا كُنَّا أيُّها الأخوة نحمل الاسم المسيحيّ ونحن كالتينة غير المثمرة في الإنجيل التي لم يكن عليها إلَّا الورق، فلنحذَر حتى لا تقع علينا تلك اللعنة التي وقعت عليها. ويجب علينا، لنكون مسيحيِّين أنْ نترك كل عمل يرضي **الشيطان**، ونتبع السيد **المسيح** كما تبعه الأعمى في الإنجيل. لنتبعه وحده **في التواضع والوداعة والقناعة والفاقة والحِلم والطهارة**، لأنَّه كان قُدوة لنا فلنسِرْ في أثره. نؤمن **بالمسيح** المخلص حسب تعاليم **الكنيسة الرُّوميَّة الأرثوذكسيَّة**، ولنحفظ وصاياه فينير أعيننا ونصبح قادرين أنْ نرى الخالق على الأرض وفي الخلائق كلها، وهكذا نلتذّ برؤية وجه **الآب** السماوي في ملكوته الأبدي، آمين.




## شالٌ مشغولٌ باليَدِ

● كَتَبَ شخصٌ ما يقول: « كنتُ أنا **وَجيري** نذهب معًا كلَّ صباح لمدَّة سبعة أسابيع لأخذ العلاج الكيماوي. كنتُ صامتًا، أمَّا **جيري** فكانَ يتكلَّم مع كُلِّ شخص في غرفة الانتظار، واحيانًا كان يملء قلبه. لاحظتُ يومًا ما إمرأةً على كُرسي مُتَحَرِّك، وَمِنْ مكانٍ ما جاءني فكرٌ أو راودتني رغبة في التحدُّث معها. ولكنها بالكادِ سَلَّمت بِحُضوري! ومع أنَّني كنتُ مُتضايقًا لحدِّ ما بِسَبَبِ تجاهلها لي، إلَّا أنَّ افتقارها للاستجابة لي، كان مثل زناد السلاح يُلِحُّ داخلي. فبادرتها بالسؤال: «هل تعلمينَ كَم يُحِبُّكِ الله؟». هزَّت رأسها، فرَكعتُ بجوارها وبدأتُ أُخبرها عن حُبِّهِ. دمدمت المرأة وهي تُحَرِّك وجهها بعيدًا وتقول: « لا أومن».

ظَلَلتُ طول الليل أُصَلِّي لأجل – **ويلما** – (اسم المرأة)، وأنا أسأل الله أن يُريني طريقًا لأصل إليها. وبهدوء جاءتني الإجابة: «لا تقترب منها بأيِّ كلامٍ له طابعٌ دينيّ. خُذ الشَّال المشغول الموضوع في حُجرة صلاتك ولفَّهُ حولها وقُل لها: هذا حقًّا ليسَ شالًا، ولكنَّهُ ذِراعا الله تُطَوِّقُكِ بِحُبِّهِ».

وفي اليوم التالي طَوَّقتُ الشَّال حول ذِراعَيْ – **ويلما** – وأخبرتُها مِن أينَ أتيتُ بِهِ ولماذا. لَمَستهُ – **ويلما** – بإعجابٍ وجلست لحظة في هدوء. ثُمَّ رفعت عينيها نحوي، ومن خلال دموعها هَمَسَتْ: **«أومن، يُبارِكُكَ الله»**.

«يُشفَى اليأس بالصَّلاةِ والرَّجاءِ في الله والتَّأمُّل في الكتاب المقدَّس، وبالحياةِ مع أشخاص صالحين » (القديس يوحنا كاسيان).

## هل يَعبَأ ؟

● قال أَبٌ مَكلوم لِراعي كنيسته يومًا ما: **«أوَّل أمس دَفنتُ ابني. وكان هذا كُلّ ما نملك. إنَّ قلبي قد دُفِنَ هناك مع جسد ابني، وأنا غير راضٍ عن آرائِكَ وَعِظاتِكَ وآمالِكَ وَمُعتَقَداتِكَ. إنَّني أُريدُ أن أعرف ما إذا كنتَ تعرف أيَّ شيءٍ عن الله أم لا تعرف. هل يعبأ بنا؟ هل يكترث لحالنا؟ هل يختلف الأمرُ بالنسبةِ له ما إذا كان ابني حيًّا أو مَيِّتًا؟ قُل لي بِشَرَفِكَ! ماذا تعرف عنهُ»**.

أمَّا القِسُّ، وبصوتٍ هادئ مُختَنِق رغم قوَّتِهِ، فقد أجابَ الأبُ المكلوم قائلًا: « سوفَ أُخبرك عمَّا أعرفه، إنَّني أعرف أنَّه يكترث!».

فسأله الأب: «وكيفَ عَرفتَ هذا؟». أجابَه القِسُّ: «لأنَّهُ هو نفسُهُ فقد ابنه يومًا ما. لقد كان يُلاحظه وهو يموت على الصليب، مع أنَّه بريءٌ من أيِّ إثمٍ. إنَّه يعرف جيِّدًا معنى أنْ يفقد إنسانٌ ابنه الوحيد!».

«الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» (رو ٨: ٣٢).

## كأسي الفَارِغَةُ

● قالت شابَّة: «منذُ عدَّة سنوات وصلتُ إلى حالةٍ من اليأس الشديد. حُجِزتُ بِسَبَبِهِ في مُستشفى بهدَفِ أنْ أستريح. حدثَ هذا بعدَ أن فقدتُ زوجي بعد صراعٍ طويل مُضنٍ دامَ سنة كاملة بينه وبين الأطباء مع السرطان. كان الحَزنُ يبدو أنَّهُ يبتلعني تمامًا ويملأ كياني بالحزنِ العميق، العميق جدًّا، من جرَّاء شعوري بالوحدة المُفرِطة.

ذهبتُ في اليوم التالي لوصولي، إلى كنيسة المستشفى، وألقيتُ بِنفسي على أحد المقاعد، ثمَّ رَكعتُ على قَدَميّ وحاولتُ أن أُصَلِّي. إنَّ الكلمات أَبَت أن تخرج من فَمي بسهولَةٍ، وفي النهاية لم أُحاول الصَّلاة ثانيةً، فقط رَكعتُ وسط صمت الكنيسَةِ الصغيرة.

وبعد بُرهةٍ، نَهضتُ ومشَيتُ ببطء إلى غُرفتي، وهناك وقعت عَيْنَايَ على خِطاب وَصَلَ للتَوِّ أثناء غيابي، فتحتُ الخطاب، فوجدتُهُ يتضَمَّن عزاءً لي من صديقتي – **ويلما** – التي كتبت تقول لي، إنَّ كُلَّ ما أريدُ أنْ أقوله لَكِ موجودٌ في كلمات **جريس نول كروُيل** الآتية: « ابنتي الصغيرة، لا يقول الله اليوم: «تَقَوَّي». فهو يعرف أنَّهُ قد نَفَدَتْ قُوَّتُكِ، وهو يعرف كم كانَ الطريق طويلًا، وكم من صعوباتٍ عبرت، لأنَّ الذي مَشَى في طريق الأرض خلال كُلِّ مستنقع واطئ وجبلٍ خشن، يقدر أن يفهم، ولذلك فهو يقول: «اهدأُوا واعلموا أنِّي هو الله». إنَّ الساعة متأخرة وعليكِ أن تستريحي إلى حين، وعليكِ أن تنتظري إلى أنْ تمتلئ أوعية الحياة الفارغة، كما تملأ قطرات المطر البطيء الكأس المنعطفة لأعلى. امسكي كأسكِ يا عزيزتي الصغيرة ليملأها الله. واليوم يسألكِ فقط أن تهدئي.

**كم كنتُ مُحتاجة إلى هذه الكلمات في تلك اللحظة! وفي الأيام التالية فإنَّ الله حقًّا قد ملأَ كأسي الفارغة».**

**إنَّ الليل هو الوقت الذي من الأفضل أن نُؤمن فيه بالنُّور.**




✠ «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١تي٣:١٦).

## الابن المولود من الآب قبل كل الدهور:

العلاقة بين **الآب والابن** التي توصَف بها العلاقة بين الأقنوم الأول والأقنوم الثاني من الثالوث القدوس، هي علاقة كائنة منذ الأزل في طبيعة الله الأزلي، أي أنَّ الابن كان دائمًا في حضن الآب، والآب في الابن، والآب والابن والرُّوح القُدُس هم واحدٌ في ثالوث، وذلك في قول الابن: «إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي. وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ» (يو١٠:٣٧-٣٨) ، «أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ» (يو١٠:٣٠)، «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو١٤:٩)، «أَلستَ تؤمن أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ» (يو١٤:١٠)، «لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الابْنَ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ» (مت ١١:٢٧).

لذلك بدأ **القديس يوحنا الإنجيلي والرسول** إنجيله بقوله: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ» (يو١:١-٥) .

### ✠ وفي هذا يقول القديس كيرلُّس الكبير:

﴿بالنسبة للابن (الكلمة)، فالبدء ليس بدءًا زمنيًّا ولا جغرافيًّا، فهو أزليٌّ وأقدم من كلِّ الدهور، ولم يُولَد من الآب في الزمان لأنه «كان» مع الآب مثل الماء في الينبوع، أو كما قال هو: «خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ، وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ، (وَأَيْضاً أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الآبِ)» (يو١٦:٢٨). فإذا اعتبرنا الآب المصدر أو الينبوع، فإنَّ الكلمة كان فيه لأنَّهُ حكمته (وكلمته) وقوَّته وصورة جوهره وشعاع مجده. وإذ لم يكُن وقتٌ كان الآب فيه بلا حكمة وكلمة وصورة وشعاع؛ فإنه من الواضح أنَّ وجود الابن الذي هو حكمة وكلمة وصورة الآب وشعاع مجده، أَمْرٌ لا يحتاج إلى إقرارٍ منَّا، فهو أزليٌّ مثل الآب الأزلي، وإلَّا فكيف يوصَف أنَّهُ صورته الكاملة ومثاله التَّام؟؛ إلَّا إذا كان له بوضوح ذات الجمال الذي هو على صورته...

لأنَّ الابن في الآب وهو من الآب، ليس كمَن يأتي من الخارج في الزمان، بل هو من ذات جوهر الآب، يشعُّ مثل الشعاع من الشمس أو صدور الحرارة من النار. هذه الأمثال تعني أنْ نفهم كيف يُولَد أو يصدر الابن مِن الآب، وفي نفس الوقت، لا يصدر متأخِّرًا أو بعد زمنٍ، أو أن يكون له طبيعة مختلفة، بل يصدر الواحد من الآخر ويظلُّ كائنًا معه ولا ينفصل عنه، بل لا يمكن لأيٍّ منهما أن يُوجَد بدون الآخر...﴾ (**أقوال القديس كيرلُّس الكبير**).

### صفة الولادة في الابن صفة جوهرية ذاتيَّة في الابن:

كما يجب أن نُلاحِظ أنَّ نفس الطبيعة الإلهيَّة توجَد أزليًّا وفي كمالٍ متساوٍ في الآب كما في الابن، إلَّا أنَّ صفة الولادة في الآب فقط دون الابن (المولود من الآب قبل كُلِّ الدهور). هذه الولادة، وهذه الوحدة في الطبيعة، تُحتِّم أنْ يكون الابن من نفس جوهر الآب. وبما أنَّ كلَّ شيء قد خُلِقَ بالابن من العَدَم: «كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يو١:٣)، وبما أنَّ الابن في الآب؛ فكلُّ ما يعمله الابن يعمله الآب، وكلُّ ما يعمله الآب يعمله الابن. إلَّا أنَّ الابن وحده هو الذي تجسَّد وأعلن مجد الآب ومحبَّة الآب للعالم: «اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. الابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يو١:١٨).

إذن، فالأُبوَّة في ذاتِ الله هي أُبوَّة جوهرية قائمة في جوهر الآب منذ الأزل، وهي أصل كل أُبوَّة؛ كما أنَّ البنوَّة في ذات الله هي صفة جوهرية في اللهِ وهي أصل كُلِّ بنوَّة. كما أنَّ محبة الآب للابن هي المحبة التي تفيض على الخليقة كلِّها، وهي المحبة الأبويَّة للابن الوحيد التي يحب بها الآب ابنه حُبًّا غير محدود، «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يو٣:١٦).

**«كَمَا أَنَّ الآبَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ، كَذلِكَ أَعْطَى الابْنَ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ حَيَاةٌ فِي ذَاتِهِ.» (يو ٥: ٢٦):**

الله واحدٌ في ثالوث: الآب والابن والرُّوح القُدُس، وقد أَمَر المسيح تلاميذه بعد قيامته قائلًا: «اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ. وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مت ٢٨: ١٩، ٢٠).

**فالرُّوح القُدُس** هو الأقنوم الثالث وهو يُدعَى الرُّوح المُحيي، والرُّوح المُعزِّي، وروح الحياة، وروح الآب، وروح الابن. وهو في ذات جوهر الله، وهو الحياة الذي ينبثق من الآب في الابن. وكما أنَّ الآب هو أصل كُلِّ أُبوَّة، والابن هو أصل كُلِّ بنوَّة، كذلك الرُّوح القُدُس هو الرُّوح الفعَّال في الخليقة أصل كُلِّ الحياة فيها، وهو الذي **حلَّ على العذراء القديسة مريم** فولدت لنا **مُخلِّص العالم المسيح إلهنا**، وهو الذي وُلِدنا منه في المعمودية بالماء والرُّوح.

### ✚ وفي هذا يقول القديس أثناسيوس الكبير:

[بسبب نعمة الرُّوح القُدُس المُعطاة لنا، نصير نحن فيه وهو فينا. وحيث إنَّهُ هو روح الله، فبسبب كونه فينا، نُعتَبَر بحقٍّ – إذ قد اقتنينا الرُّوح – أنَّنا في الله وكذلك أنَّ الله فينا، غير أنَّنا لا نكون في الآب بمثل ما يكون الابن في الآب؛ لأنَّ الابن لا يشترك في الرُّوح ليصير بواسطته في الآب، وهو لا ينال الرُّوح، بل بالحريِّ هو الذي يُعطيه للجميع. والرُّوح القُدُس لا يربط الكلمة بالآب، بل بالحري الروح يأخذ مِمَّا للكلمة (ويُعطينا). والابن في الآب لكونه كلمته الخاص وبهاءه، أما نحن بدون الرُّوح القُدُس نكون غرباء وبعيدين عن الله. ولكننا بشركة الرُّوح القُدُس نتَّحد باللاهوت (نصير «شركاء الطبيعة الإلهية»)، حتى أنَّ وجودنا في الآب أَمْرٌ لا يخصُّنا نحن، بل يخصُّ الرُّوح القُدُس الكائن فينا والثابت فينا].

### ابن الله وُلِدَ جسديًّا من العذراء في ملءِ الزمان من أجل خلاصنا:

ابن الله المولود مِنَ الآب قبل كُلِّ الدهور، الذي هو نور من نور، وإله حقّ من إله حقّ، ومولود غير مخلوق، ومساوٍ للآب في الجوهر، والذي به كان كُلُّ شيء (قانون الإيمان)؛ هذا الابن «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقًّا» (يو ١: ١٤). فهو «من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسَّد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنَّس...» .

### ✚ وفي هذا يقول القديس إيرينيوس:

[كيف كان يمكن للإنسان أنْ يذهب إلى اللهِ، لو لم يكن الله قد جاء أولًا إلى الإنسان؟ وكيف كان يمكن للبشر أنْ ينعتقوا من ميلادهم الأول المؤدِّي إلى الموت، لو لم يُولدوا من جديد بالإيمان بذلك الميلاد الجديد الإعجازي المُعطَى مِن الله كآية للخلاص «يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً» (انظر إش ٧: ١٤)، أعني الميلاد الذي صار من العذراء؟ بل، وكيف كان يمكن أن ينالوا التبنِّي لله وهم باقون في ميلادهم الأول الذي بحسب البشر في هذا العالم؟... من أجل ذلك صار الكلمة إنسانًا وصار ابن الله ابنًا للإنسان، لكي يتَّحد الإنسان بالكلمة، فينال التبنِّي ويصير ابنًا لله].

**«(الله) اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم، لنكون قدِّيسين وبلا لوم قدَّامه في المحبة» (أف ١: ٤):**

فالله الذي خَلَقَ الإنسان على صورته ومثاله منذ بداية الخليقة، كان قد أضمر في نفسه أنْ يخلق الإنسان على صورته في البرِّ والقداسة والمعرفة وحريَّة الإرادة والسلطة، لعلمه أنَّ الإنسان رغم خلقته على صورة الله لن يمكنه الثبات فيها إلاَّ بتوسُّط ابن الله المتجسِّد: «إِذْ سَبَقَ (الله) فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ» (أف ١: ٥).

وقبل **المجدلة الكبرى** بعد الإينوس: الآن وكل أوان ... (تعظيمة لوالدة الإله) هكذا نقول عن **تجسُّد المسيح لخلاص الإنسان، وإماتَتِهِ للموت:**

**«إنَّكِ مباكةٌ أعظم البركات يا والدة الإله العذراء. لأنَّ الجحيم قد سُبِيَ بواسطة المتجسِّد منكِ، وآدم دُعِيَ ثانيةً، واللعنة أُبيدت، وحوَّاء أُعتِقَت، والموتَ أُميت، ونحنُ قد أُحيينا. فلذلك نُسَبِّح هاتفين: مُباركٌ أنتَ أيُّها المسيح إلهنا الذي هكذا ارتضى، المجدُ لك.»**

### ✚ وفي هذا يقول القديس أثناسيوس الكبير:

[ولهذا كان مِنَ الصواب، إذْ أراد منفعة البشر، أنْ يأتي إلينا (ابن الله الكلمة) كإنسانٍ آخِذًا لنفسه جسدًا شبيهًا بجسدهم من أسفل، حتى يستطيع الذين لا يُريدون أنْ يعترفوا به، مِنْ خلال أعمال عنايته وسلطانه على كلِّ الأشياء، أنْ يُبصروا الأعمال التي عملها بجسده – هنا على الأرض – ويعرفوا كلمة الله الحالَّ في الجسد، ومن خلال الكلمة المُتجسِّد يعرفون الآب].

وهكذا جاء ابن الله مُتجسِّدًا، وتنازَل إلى المنتهى ووُلِدَ طفلًا رضيعًا محمولًا على الأيدي ومُضجعًا في مذود. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبيّ الفم**، عن نزول المسيح إلى دركات الجحيم وإصعاد الجنس البشري إلى السموات:

[ألا ترى المسافة من الأرض إلى السماء؟ أو بالحري فلنبدأ من أسفل – ألا ترى عِظَمِ المسافة من الجحيم إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء ومن السماء إلى السماء العليا ومن أعلى سماء إلى الملائكة إلى القوات العلوية ثم إلى عرش الله نفسه؟].

والأعجب من ذلك أنَّهُ جعل مجيئه آيةً بأن يُولَد من عذراء ويحفظ بتوليتها مختومة، ليتمَّ قول **النبي إشعياء**: «هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ (الذي تفسيره: «الله معنا»)» (إش ٧: ١٤؛ مت ١: ٢٣).

والكنيسة تهتف مُسبِّحةً لميلاده البتولي قائلة بتهليلٍ عظيم:

**قنداق تقدمة عيد الميلاد :**

**اليوم العذراء، تأتي إلى المغارة، لِتَلِدَ الكلمة، الذي قبل الدهور، ولادةً لا تُفسر، ولا يُنطق بها، فافرحي أيتها المسكونةُ إذا سَمِعْتِ، ومجِّدي مع الملائكةِ والرعاة، من شاءَ أن يظهر طفلًا جديدًا، وهو إلهنا الذي قبل الدهور.**




**قامة الطفولة:**

يقول **الرَّبُّ يسوع:** «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ» (مت ١٨: ٣،٤).

فقامة الطفولة في اتِّضاعها ونقاوة قلبها وطهارتها لا تُضاهيها قامة. وقد كان الدافع لهذا القول الذي قاله الرَّبّ للتلاميذ هو سؤالهم له قائلين: «فَمَنْ هُوَ أَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ؟» (مت ١٨: ١). فأحسَّ **الرَّبّ** بِمَدَى الخطورة العظيمة التي تُحدِّق بالتلاميذ إذا ضربهم **إبليس بهذا الفكر الشِّرير**، فهو بداية كُلِّ **انقسام وانشقاق** في الكنيسة، وأصل كل **حسد وخصام وفُرْقة**. فحُب الرئاسة والتسلُّط هو أكبر داء يؤدِّي إلى هذه النهاية المأساوية لأيِّ مجتمع: «كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَةٍ عَلَى ذَاتِهَا تُخْرَبُ، وَكُلُّ مَدِينَةٍ أَوْ بَيْتٍ مُنْقَسِمٍ عَلَى ذَاتِهِ لاَ يَثْبُتُ» (مت ١٢: ٢٥).

لذلك كان اهتمام **الرَّبّ** وتحذيره لتلاميذه من مجرَّد قبول هذا الفكر أو وروده في خواطرهم، ومِن ثمَّ أراد أن يُرسِّخ في قلوبهم هذا الأساس الراسخ الذي جعله شرطاً لدخولهم ملكوت السموات، وهو التمسُّك بقامة الطفولة في اتِّضاعها ونقاوة قلبها وطهارتها، حتى أنَّهُ أقام طفلًا في وسطهم ليُثبِّت هذا المثال في أعماقهم.

ولعل هذا هو السبب الذي دعا القديس بولس الرسول أن يقول لأهل كورنثوس: «وَأَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُكَلِّمَكُمْ كَرُوحِيِّينَ، بَلْ كَجَسَدِيِّينَ كَأَطْفَالٍ فِي الْمَسِيحِ، سَقَيْتُكُمْ لَبَناً لاَ طَعَاماً، لأَنَّكُمْ لَمْ تَكُونُوا بَعْدُ تَسْتَطِيعُونَ، بَلِ الآنَ أَيْضاً لاَ تَسْتَطِيعُونَ، لأَنَّكُمْ بَعْدُ جَسَدِيُّونَ. فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَانْشِقَاقٌ، أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ؟ لأَنَّهُ مَتَى قَالَ وَاحِدٌ: ”أَنَا لِبُولُسَ“ وَآخَرُ: ”أَنَا لأَبُلُّوسَ“ أَفَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ؟» (١كو ٣: ١-٤).

وقد رأى **الرَّبّ** أيضًا، في ليلة آلامه وصَلْبه، أنَّ تلاميذه كانوا غير قادرين على تقبُّل أعماق أسراره التي كان يُريد أن يُبيح بها لهم، ولذلك قال لهم: «إِنَّ لِي أُمُوراً كَثِيرَةً أَيْضاً لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ» (يو ١٦: ١٢،١٣).

ويتضح من قول الرَّبّ هذا إنَّه كان يرى تلاميذه غير مؤهَّلين للطعام القوي حتى يحلَّ **الرُّوح القُدُس** عليهم ويُلبَسوا قوَّةً من الأعالي، وحينذاك **الرُّوح القُدُس** «يُرشدهم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلَّم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلَّم به، ويُخبرهم بأمورٍ آتية». والامتلاء من **الرُّوح القُدُس** واقتناؤه هو ضرورة مُلحَّة لأن نسلك كروحيِّين ونتخلَّص من حُبِّ الرئاسة والتسلُّط والخصام والانقسام.

**الطعام القوي للبالغين:**

يكشف لنا بولس الرسول سببًا آخر لإحجامه عن إعطاء الطعام القوي لقومٍ كان ينبغي لسببِ طول الزَّمان أن يكونوا مُعلِّمين، ولكنه وجدهم يحتاجون أن يُعلِّمهم أحدٌ ما هي أركان بداءة أقوال الله، لذلك يقول لهم: «وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ، لاَ إِلَى طَعَامٍ قَوِيٍّ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ اللَّبَنَ هُوَ عَدِيمُ الْخِبْرَةِ فِي كَلاَمِ الْبِرِّ لأَنَّهُ طِفْلٌ، وَأَمَّا الطَّعَامُ الْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ الَّذِينَ بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ» (عب ٥: ١٢-١٤).

وهو يُبيِّن لنا أيضًا أنَّه لا علاقة لهذا الأمر بطول الزَّمان في معرفة الرَّبّ، ولا التقدُّم في الرُّتَب الكنسيَّة، بل هوذا بشهادة بولس الرسول وخبرته في الطريق الذي استؤمن عليه من قِبَل الله، يُخاطب العبرانيين بقوله: «لأَنَّكُمْ - إِذْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ لِسَبَبِ طُولِ الزَّمَانِ - تَحْتَاجُونَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ مَا هِيَ أَرْكَانُ بَدَاءَةِ أَقْوَالِ اللهِ، وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ، لاَ إِلَى طَعَامٍ قَوِيٍّ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ اللَّبَنَ هُوَ عَدِيمُ الْخِبْرَةِ فِي كَلاَمِ الْبِرِّ لأَنَّهُ طِفْلٌ».

† إذن، فالطعام القوي هو للبالغين الذين «بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ». وفي هذا يقول **القديس أنبا مكاريوس الكبير:**

﴿فلننظر العذارى الخمس الحكيمات الساهرات المتيقظات اللائي أَخذن في أوعية قلوبهن ما هو غريبٌ عن طبيعتهن، أي الزيت الذي هو نعمة الرُّوح القُدُس التي من فوق، وهكذا فإنهنَّ تمكَّنَّ من الدخول مع العريس إلى الخدر السَّماوي؛ أمَّا الأُخريات الجاهلات القابعات بطبيعتهن الخاصَّة فما تيقَّظن ولا اجتهدن لنيل "زيت

البهجة" في آنيتهن وهُنَّ بعد في الجسد، بل نِمْنَ بسبب الإهمال والتراخي واللامُبالاة والجهالة أو بسبب ظنهُنَّ البرَّ في ذواتهنَّ. من أجل هذا فلقد حُرِمْنَ من دخول خِدْر الملكوت، إذ لم يستطعن أن يُرضين العريس السماوي لأنهُنَّ كُنَّ ممسوكاتٍ برباط العالم وحُبِّ الأرضيات، ولم يُعطين حُبَّهُنَّ وعِشقهُنَّ بالتمام للعريس السماوي، ولم يَتَلْن الزيت؛ أمَّا النفوس التي تطلب "تقديس الرُّوح"، الذي هو فائق لطبيعتها، فإنها تُعلِّق كل حبِّها بالربِّ، وهناك تعيش وهناك تضع أشواقها وتُفكِّر، مُعْرِضَةً عن كلِّ الأمور الأخرى. من أجل هذا فإنها تُحسَب أهلاً لنَيْل زيت النعمة السماويَّة، وهكذا تستطيع أن تَعْبُر دون سقوط وقد أَرْضت العريس الروحاني إلى التمام﴾.

† وقبل أن يسوق **القديس أنبا مكاريوس الكبير** تعليقه على مَثَل العذارى الحكيمات والجاهلات لكي يؤكِّد لنا أنَّ **الرُّوح القُدُس** هو الذي يهبنا الإفراز، فقد بدأ هذه العظة بقوله:

﴿إنَّ الذين يريدون أن يُكمِّلوا حياتهم المسيحيَّة بتدقيق كثير، يلزمهم - قبل كل شيء - أن يعتنوا بكلِّ قوَّتهم بمَلَكَتَي البصيرة والإفراز اللَّتين للنفس. لأنَّه إذا اقتنينا التمييز المرهف بين الخير والشر، وميَّزنا في كلِّ حين الأهواء التي قد أُدخِلَت - على خلاف الطبيعة - إلى طبيعتنا النقيَّة، أمكننا أن نُدبِّر أنفسنا بلياقة وبلا عثرة. وهكذا حينما نقتني الإفراز بمثابة عينٍ نُميِّز بها، يتسنَّى لنا أن نلبث بلا اتحادٍ بإيحاءات الشَّر أو ارتباط بها، فنستحق بذلك الموهبة الإلهيَّة ونصير جديرين بالرَّبِّ. ولنأخذ مثالاً من الأمور المنظورة، لأن الجسد يُشابه النفس، وأمور الجسد تُشابه أمور النفس، والأشياء الظاهرة تُشابه الخَفِيَّة﴾.

## «لا تكونوا أولادًا في أذهانكم، بل كونوا أولادًا في الشر»:

رغم أنَّ **الرَّبَّ يسوع** يُطالبنا بشدَّة قائلاً: «إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ» (مت ١٨: ٣، ٤)، إلاَّ أنَّه لم يكن يطلب منَّا أن نكون أطفالاً في ذهننا. وهذا ما أوضحه القديس بولس الرسول في قوله: «أَيُّهَا الإِخْوَةُ، لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ، بَلْ كُونُوا أَوْلاَداً فِي الشَّرِّ، وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ» (١كو ١٤: ٢٠). كما قال أيضًا: «لَمَّا كُنْتُ طِفْلاً كَطِفْلٍ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ، وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْطَنُ، وَكَطِفْلٍ كُنْتُ أَفْتَكِرُ. وَلكِنْ لَمَّا صِرْتُ رَجُلاً أَبْطَلْتُ مَا لِلْطِّفْلِ» (١كو ١٣: ١١). ثم أوضح أيضًا قوله هذا في رسالته إلى أهل أفسس، مُبيِّنًا أهمية النضوج الذهني من أجل النضوج الرُّوحي قائلاً: «كَيْ لاَ نَكُونَ فِيمَا بَعْدُ أَطْفَالاً مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلاَلِ. بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ» (أف ٤: ١٤، ١٥).

فالنضوج الذهني والتعقُّل أَمْرٌ ضروري من أجل النضوج الرُّوحي. وفي هذا يقول الحكيم كاتب سِفْر الأمثال: «تَعَقُّلُ الإِنْسَانِ يُبْطِئُ غَضَبَهُ وَفَخْرُهُ الصَّفْحُ عَنْ مَعْصِيَةٍ» (أم ١٩: ١١).

ويوصي القديس بولس الرسول تلميذه تيطس قائلاً: «لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ لِجَمِيعِ النَّاسِ، مُعَلِّمَةً إِيَّانَا أَنْ نُنْكِرَ الْفُجُورَ وَالشَّهَوَاتِ الْعَالَمِيَّةَ، وَنَعِيشَ بِالتَّعَقُّلِ وَالْبِرِّ وَالتَّقْوَى فِي الْعَالَمِ الْحَاضِرِ» (تي ٢: ١١، ١٢).

كما أوصاه أيضًا في اختياره للرُّعاة أنْ يكون الأسقف: «بِلاَ لَوْمٍ كَوَكِيلِ اللهِ، غَيْرَ مُعْجِبٍ بِنَفْسِهِ، وَلاَ غَضُوبٍ وَلاَ مُدْمِنِ الْخَمْرِ، وَلاَ ضَرَّابٍ، وَلاَ طَامِعٍ فِي الرِّبْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ مُضِيفاً لِلْغُرَبَاءِ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ، مُتَعَقِّلاً، بَارًّا، وَرِعاً، ضَابِطاً لِنَفْسِهِ» (تي ١: ٧، ٨). وكذلك: «أَنْ يَكُونَ الأَشْيَاخُ (القسوس) صَاحِينَ ذَوِي وَقَارٍ، مُتَعَقِّلِينَ، أَصِحَّاءَ فِي الإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالصَّبْرِ» (تي ٢: ٢).

كما أضاف القديس بولس الرسول على صفة التعقُّل التي تعني التريُّث في الحُكْم وإمعان الفكر في كلِّ أَمْرٍ قبل إصدار القرار فيه، وهذا كلُّه يتضمنه قوله: «لاَ تَكُونُوا أَوْلاَداً فِي أَذْهَانِكُمْ، بَلْ كُونُوا أَوْلاَداً فِي الشَّرِّ، وَأَمَّا فِي الأَذْهَانِ فَكُونُوا كَامِلِينَ» (١كو ١٤: ٢٠)؛ أضاف أيضًا توصيته لأهل كورنثوس قائلًا: «اسْهَرُوا. اثْبُتُوا فِي الإِيمَانِ. كُونُوا رِجَالاً. تَقَوَّوْا» (١كو ١٦: ١٣).

† ويُعلِّق على ذلك **القديس الأنبا مكاريوس الكبير** قائلاً:

﴿فالذي يروم أن يتعلَّم الآداب، يمضي أولاً ويتعلَّم الحروف، وحين يصبح الأول هناك، يذهب إلى مدرسةٍ يتعلَّم فيها الرُّوميَّة حيث يكون فيها آخر الكلِّ، ثمَّ حين يُحرز قَصَب السَّبْق فيها، يمضي إلى مدرسة البلاغة والتي فيها يكون أيضًا مُبتدئًا وفي آخر الصفوف، ومتى صار محاميًا يكون مبتدئًا وسط الفقهاء وآخر الكل، ثم حين يَبْزُّ أقرانه يغدو هو المتقدِّم بينهم، وعندما يصبح رئيسًا يتَّخذ لنفسه مُشيرًا يُعاونه.

فإن كانت الأمور المنظورة لها مِثل هذه المراحل للتقدُّم، فكم بالأحرى الأسرار السماويَّة يكون لها أطوارٌ للتقدُّم، وتنمو خلال درجات كثيرة، وحينذاك، وعَبْر تدريبٍ كثيرٍ وامتحاناتٍ عِدَّة، يصبح كاملًا ذاك الذي يجتازها حتى النهاية﴾ (الروميَّة = اليونانيَّة).

وبناءً على ذلك، مَن هم البالغون الذين يحقُّ لهم أن يتناولوا طعام الأقوياء؟!

هُم الذين لم يعودوا بعد جسديين وليسوا يُعانون من **الحسد والخصام والانشقاق**. وهم الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس مُدرَّبةً على التمييز بين الخير والشر.

والآن، نحن نعرف عن أنفسنا أننا بعد جسديُّون، وأننا مُحتاجون أن نتعلَّم ما هي أركان بداءة أقوال الله، لأنَّنا عديمو الخبرة في كلام البِرِّ، ولم نصلْ بعد إلى أنْ تصير لنا الحواس مُدرَّبةً على التمييز بين الخير والشر، وأنَّنا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا!

فقد كُتِبَتْ هذه المقالات لكي تُذكِّرنا بضعفنا واحتياجنا وعوزنا وفقرنا، وكصرخة للرَّبِّ القادر أن يرفع من مستوانا حتى نترك عنَّا الخصام والانشقاق ولا نسلك كجسديِّين بل كروحيِّين، ونسعى إلى طلب نعمة الله المُخلِّصة لجميع الناس، مُعلِّمة إيَّانا أن نُنكر الفجور والشهوات العالمية، ونعيش بالتعقُّل والبر والتقوى في العالم الحاضر.

# سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

## الفصل الثامن والعشرون

(تتمة من العدد السَّابق)




ـ لا تتعجَّب يا كوستي، ففي وسط هؤلاء الناس الذين نتكلَّم عنهم، هناك مجموعة تعيش وتستمر. إنَّهم بعض الأشخاص الذين يبحثون عن الرَّبِّ دونَ توقُّف. ولهذا فَهُم يكتسبون سُمُوًّا كبيرًا وعذوبة تكاد تكون عذوبة الملائكة. وكُلّ يوم في حياتهم مملوءٌ بالرَّجاء والجهادات المتواصلة. إنَّهم يتقدَّمون في حياتهم وَهُم يحملون ما يُسَمَّى: «بالحِداد الجالب الفَرح». وللأسف فإنَّ هؤلاء الأشخاص يبقون غُرباء إلى الأبد، مجهولون، وكثيرًا ما يغفلهم السَّواد الأعظم من الناس. فإذا خرجوا من عُزلتهم وأفصحوا عن أفكارهم، فسيظهرون غريبي الأطوار ويهزأ الناس بِهِم، يا صديقي ورفيقي العزيز».

ولم يَكُن كوستي ينتظر مثل هذا التصريح، فجمدَ في مكانه متفكِّرًا في ما سمعه وهو على وَشَكَ البُكاء. ثمَّ تمتمَ:

ـ نحنُ لا نتكلَّم عن الأمر نفسه يا صاحب السِّيادة. مباركةٌ الطريق التي تسلكها. وسأقول لكَ من جديد أمرًا لا تحبّ سماعه: أنتَ كالساقية الصغيرة الشَّفافة التي يجهلها الجميع.

ـ يكفي صفات وتصنيفات! ولا تتَخَطَّ حدودك، فأنتَ شاب وكثيرًا ما يتملكك الحماس.

ـ أبدًا يا سيِّدي. اليوم في القرن العشرين، الجماهير مُخطئة حقًّا. أجل إنَّهم يبحثون عن السعادة خارج ذواتهم. لَيْتَهُم على الأقل يتفادون الإنهاك! أنتَ نحيلٌ جدًّا، ويبدو وكأنَّكَ على وشكِ أنْ تخور قِواكَ.

ـ لا تَخَف يا كوستي. فيما بيننا «العين» التي ترى كُلَّ شيء. إنَّهُ يستطيع أن يُقيم عُمَّالًا من الحجارة، أو حتى من العَدَم.

## الفصل التاسع والعشرون

«بِالإِيمَانِ يُوسُفُ عِنْدَ مَوْتِهِ ذَكَرَ خُرُوجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَوْصَى مِنْ جِهَةِ عِظَامِهِ.» (عبرانيين ١١: ٢٢).

أمام الدير القديم نبتت شجرة صغيرة على المنحدر الشمالي، وكانت صغيرة جدًّا ومُستديرة، كَكُرةٍ خضراء.

منذ سنوات، في حوالي العام ١٩٠٠، عاشت هناك إمرأة تُدعى أفروديت مورجينو، وكانت الأولى بين نساء الدير التي وصَلَت إلى زانطيا واعتنقت الحياة الرهبانيَّة تحت اسم أناستاسيَّا. وقد قرَّرت أفروديت في أحد الأيام أن تقتلع هذه الشجرة الصغيرة بعنايةٍ بفأسها الصغير. لِتُعيد زرعها على بُعدِ مترين أو ثلاثة نحو اليمين، بقرب كنيسة النبع المُحيي. فنهضت عند الفجر وعملت حوالي الساعة من الزمن في قلع الشجرة مع بعض تُربتها. وكانت وحدها، فقد ذهبت الفتاتان الأُخريان إلى المدينة منذ البارحة مساءً للتبَضُّع. وبعد أن راحت تحفر بالتربة بِمِعْوَلِهَا سمعت صوتًا مُجلجِلًا من خلفها يقول لها:

ـ ليسَ هنا ، نحو الأسفل ... أُترُكي بعض الأمتار، ما يتَّسع لِوَضعِ تابوت.

فاستدارت مذعورة، ونظرت خلفها وحولها ... فلم تَجِد أحدًا، فرفعت مِعْوَلَها من جديد وضربت به التربة بقوَّةٍ مرَّةً أو مرَّتين، فسمعت الصوت المجلجل يقول ثانية بإصرار:

ـ أُترُكي بعض الأمتار لوضع تابوت.

فجمدت في مكانها وأصاخت السَّمع، لكنها لم تَرَ أحدًا، بل كان الصَّمت من حولها عميقًا. ولم تَرَ غيرَ هِرٍّ سمين يَمُرُّ بِخِفَّةٍ وينظر حولها بتواطؤ. فبصقت في يدها وتناولت المعوَل من جديد، لكنها أحَسَّت هذه المرَّة بقوَّةٍ تدفعها إلى الوراء، وكأنَّها يَدٌ جبَّارة، فأفلت المعول من يَدِها وانغرسَ في التربة على بُعدِ أمتارٍ من المكان، وإذ بِهِ يحفر حفرة في الأرضِ بِضَربةٍ واحدة. فقالت في نفسها:

ـ يبدو أنَّني سأُدفن هنا. لا بُدَّ أنَّهُ ملاكي الحارس. ليكن كذلك!.

وتابعت الحفر قدر ما يجب، ثمَّ رسمت إشارة الصليب ثلاث مرَّات وزرعت الشجرة الصغيرة في ذلك المكان الذي بقيت فيه حتى اليوم.

واستمرت لستِ سنوات تشذب الشجرة وتتأملها وتُكلمها من وقتٍ لآخر، كما لو أنَّها تُكَلِّمُ أحدًا، فتقول:

ـ إكبري واصنعي أوراقًا كثيرة يا شابَّة. لأنَّهم سيدفنونني هنا. هذا ما قاله لي ملاكي الحارس. لقد دفعني إلى هذا المكان حيثُ تمدين جذورك وتكبرين.

وكان يتهيَّأ لها أنَّ الشجرة القويَّة الخضراء، اللامعة تحت قطرات الندى، تنظُر إليها وتبتسم.

حينئذٍ سمعت وقع خطوات بالقُربِ منها ورأت أمامها أُسقف ريزاريو، الأب الرُّوحي والمُرشِد للفتيات اللواتي يشيِّدن الدير الجديد. فسجدت له وسمعته يسألها بعذوبةٍ.

ـ ماذا تتمتمين لنفسِك يا أُمّي.

(يتبع)




## الجزء الثاني: شهادات عن القديس
### خبرات روحِيَّة مع القدِّيس پورفيريوس وعجائب له

**شهادات المتوحِّدة خريستونيمفي، رئيسة الدير المقدَّس، دير بشارة والدة الإله العذراء في جزيرة بطمس في اليونان:**

(تتمة): وكلَّم رئيسة الدير قائلًا: إنَّ الكاهن إيلياس، يا طفلتي، كل يوم يسير مترجلًا نحو تلك المنطقة فوق، يمرُّ كُلّ يوم للذهاب إلى قلايته (في كاتسما رؤساء الملائكة غير المتجسّدة، الموجودة منذ القرن الثاني عشر). هناك يمكنكم البدء بالحفر، وعندها ستجدون الكثير من المياه العذبة.

وبالحقيقة فعلًا قمنا بالحفر في تلك النقطة التي حدَّدها القديس پورفيريوس، ووجدنا مياهًا للشرب بوفرة، حيث تم تلبية جميع إحتياجات الدير.

كنتُ استمع إلى الوصف والتفاصيل الدقيقة التي كان يُدليها القديس پورفيريوس، بخصوص ديرنا العامر. وتجرَّأتُ لأنْ أسأل الشيخ إن كان يستطيع القدوم لزيارة ديرنا **دير بشارة والدة الإله** في جزيرة بطمس، وهو ببساطته المقدّسة المعتادة قال لي: إنّه قد أتى في السابق إلى جزيرة بطمس، وزار الكهف المقدس (للقديس يوحنا اللاهوتي كاتب سفر الرؤيا) وبعدها غادر الجزيرة ولم يَقُم بزيارة الجزيرة ثانية، وبالطبع لم يَزُر الدير بتاتًا .

وبعد أن تحدثنا بما فيه الكفاية، عُدْنا في الطريق راجعين إلى الدير حيث مقرّه في ميليسي، حيث كان جمهورٌ غفيرٌ بانتظاره هناك. وفي الطريق أعطاني سترته (الجاكيت) لأرتديها من أجل البَرَكة. واستمر في الحديث معي قائلًا: أريدأنا أيضًا يا ابنتي أن أبني ديرًا هنا من أجل تمجيد الله. ولكنني لا أعرف لغاية هذه اللحظة في أيّة نقطة أو بقعة سوف أبني هذا الدير.

أنا أُصَلِّي، ولكن ليس لدي معلومات حتى الآن في أيِّ جزءٍ من قطعة الأرض سوف أبني الكنيسة والدير، لكي يكون هناك أيضًا ماءٌ بوفرة، لسَدِّ احتياجات الدير والقاطنات فيه من الأخوات المتوحدات. هناك إذن حيث كنَّا قد استمرينا بالسير (بالتأكيد ومن خلال صلوته)، ... فجأة، توَقَّفَ وقال لي: «نعم انتظري لحظة، هنا، لا تتحرَّكي ... إنني أرى هنا ضوءًا. في هذا المكان وفي هذه النقطة بالذَّات سوف أقوم بالحفر، يوجد هنا ماءٌ ...




استمرينا بالسير ثانية نحو الأسفل لمسافةٍ قصيرة، وثانية أوقفني، وقال لي لا تتحرَّكي، أيضًا هنا في هذه النقطة أرى ضوءًا ، هنا سوف أقوم ببناء الكنيسة. وكان فَرِحًا جدًّا وقد تملَّكته الغبطة والفرح.

بعدها، باركني وقال لي: يا ابنتي تعالِي مرَّة أُخرى، قبل ان تغادري لاراك ثانية.

وعندما عدنا باتجاه الدير، كان العديد بالانتظار، حيث حصلوا من الشيخ على البَرَكة، ومن ضمنهم الأخوات الأُخريات اللاتي كُنَّ معي، وبعدها غادرنا. وكان هذا أوَّل تعارف حصَل مع القديس پورفيريوس الرَّائي.

وبعد مرور سنة تقريبًا، التقينا مرة ثانية مع اليروندیسا الموجودة في أثينا، من أجل الفحوصات الطبيَّة، وقد قمنا بزيارة الشيخ پورفيريوس (وفي هذه المرَّة كُنا سويَّةً أنا المتوحدة خريستونيمفي، واليروندیسا المقيمة في أثينا).

التتمة في العدد القادم




# المسيح الكاهن والذبيحة

«وَأَمَّا هذَا فَبَعْدَمَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ» (عب ١٠ : ١٢).

**خطية آدم وموقف الله منه:**

لما أخطأ آدم وأَكَلَ من الشجرة المُحرَّمة، كان حُكْم **الله** الحزين عليه: «... مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ». (تك٣:١٧-١٩). ولكن لم يكن مُمكنًا أنْ يترك **اللهُ** الإنسانَ الذي خلقه على صورته يسقط من النعمة دون أن يُدبِّر له سبيلًا للخلاص!

هذا ما يراه **القديس أثناسيوس الكبير**، مؤكِّدًا استحالة تَرْك **الله** للإنسان الساقط بقوله:

[... كان غير لائق أنَّ الخليقة التي خُلِقَت عاقلة والتي شارَكَت «الكلمة» (في الصورة والشَّبَه)، أن يصبح مصيرها الهلاك، وترجع إلى عدم الوجود والفساد. لأنه مِمَّا لا يتفق مع صلاح الله أن تَفْنَى خليقته بسبب الغواية التي أدخلها الشيطان على البشر... لهذا أصبح أمرًا مُحتَّمًا ألَّا يُترَك الإنسان لتيار الفساد، لأن ذلك يُعتَبَر عملًا غير لائق، ولا يتفق مع صلاح الله].

لذلك، فقد كان تدبيرُ **الله** الأزلي لخلاص الإنسان مخفيًّا في حُكْم الله على آدم بطرده من الجنَّة. فالله لم يلعن الإنسان، بل لَعَنَ الحيَّة التي تقمَّصها إبليس، ولَعَنَ الأرض التي أَكَلَ آدم من ثمرها بعد أن أغوته الحيَّة بخُبثها، مُدَّعيةً أن الأَكْل منها يجعلهما (آدم وامرأته) يصيران كالله عارفَيْن الخير والشر!!

وكانت لعنة **الرَّبِّ** للأرض هي بسبب آدم الذي صدَّق الحيَّة، واشتهى ثمر شجرة معرفة الخير والشر التي أَمَرَه **الله** ألَّا يأكل منها، إذ كان الموت مُحَبَّأً فيها، لأنَّ عصيانه **لله** هو نفسه الذي أوجد الشَّر في حياة الإنسان؛ إذ أصبح فكره مُنقسمًا بين **الله** أصل كل الخير الذي لم يكن يعرف آدم سواه مصدرًا لحياته ووجوده، وبين **إبليس أصل كل الشَّر** الذي أطاعه آدم **مُخالِفًا** وصيَّة **الله** فأَكَلَ من الشجرة المُحرَّمة وفضَّلها على شجرة الحياة التي أعدَّها **الله** للإنسان ليأكل منها ويحيا إلى الأبد: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ» (يو١١ : ٢٥).

**فالله** الذي عاقَبَ آدم بأن يأكل من ثمار الأرض وعُشب الحقل بعَرَق جبينه، كان قد دبَّر أنْ يأكل منها يومًا ما سرَّ **الخلاص** مُودَعًا في ثمر الحنطة، ويشرب سرَّ **الخلود** مُودَعًا في عصير الكرمة! وذلك حينما يتجسَّد **ابن الله** في ملء الزمان ليُخلِّص **آدم ونسله** من **حُكْم الموت** ويُعطينا جسده ودمه مُودَعًا في سرِّ الإفخارستيا « لِكَيْ يَأْكُلَ مِنْهُ الإِنْسَانُ وَلاَ يَمُوتَ.» (يو ٦ : ٥٠). هذا هو الذي قال عنه **الرَّبّ يسوع** لليهود عندما طلبوا منه آية ليؤمنوا به مثل آية المَنّ: كما هو مكتوبٌ: «أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا».فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ الْخُبْزَ مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ مِنَ السَّمَاءِ» (يو ٦ : ٣١،٣٢). ثم عاد وقال لهم: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ».» (يو ٦ : ٥١).

ويُعلِّق على ذلك **القديس كيرلُّس الكبير** قائلًا:

[... لا يظنُّ أحدٌ أن ذلك المنَّ كان بالحقِّ هو الخبز من السماء، بل إنَّه بالحريِّ يُشير إلى هذا الخبز، القادر فعلًا أنْ يُطعِم الأرض كلها، ويمنح العالم ملء الحياة. لهذا فإنَّ الرَّبَّ يتَّهم اليهود بالتصاقهم بالفرائض الرمزيَّة، رافضين أنْ يفحصوا جمال الحقِّ. لأنَّه تبعًا لواقع الأمر، لم يكن ذاك هو المنّ، بل المنّ الحقيقيّ هو **كلمة الله** الوحيد نفسه. الذي هو من **جوهر الآب**، إذ هو بالطبيعة **الحياة**، ويُحيي كل الأشياء، لأنه إذ قد صَدَرَ من **الآب الحيّ**، فإنَّه هو أيضًا بالطبيعة **الحياة**. وحيث إنَّ عمل ذاك الذي هو بالطبيعة الحياة أن يُحيي، **فالمسيح** يُحيي كل شيء. فكما أنَّ خبزنا الأرضي الذي يخرج من الأرض، لا يَدَع طبيعة الجسد الضعيفة أن تهزل؛ فإنه هو أيضًا من خلال فعل **الرُّوح** يُحيي أرواحنا، وليس ذلك فقط، بل هو يحفظ جسده ذاته أيضًا في عدم فساد].

كما يستطرد أيضًا **القديس كيرلُّس الكبير** قائلًا في نفس هذا الصدد:

[يقول (الرَّبّ) أيضًا: إنَّ هؤلاء الذين أكلوا المنَّ قد ماتوا، إذ لم ينالوا أية شركة في الحياة آنذاك (لأن الطعام لم يكن في الحقيقة واهبًا الحياة، بل بالحري تمَّ أَكْله كمُعين على الجوع الجسداني وكرمز للخبز

الحقيقيّ). لكن الذين يقبلون في أنفسهم خبز الحياة، سوف ينالون الخلود مكافأة لهم، فلا يحلُّ بهم فساد بعد، ولا شروره الناجمة عنه، وسوف يرتفعون إلى الحياة التي لا نهاية لها أي الحياة في **المسيح**. ولن يضرَّ بكلماتنا هذه أبدًا حول هذا الموضوع أنَّ أولئك الذين قد صاروا شركاء **المسيح**، يذوقون الموت الجسدي بحسب الطبيعة البشرية، لأنهم رغم أنَّهُ يقع عليهم ما يُصيب البشريَّة كلها، إلَّا أنهم كما يقول بولس، فإنهم سيحيون أي يحيون للرب (انظر رو ١٤: ٨)].

فالرَّبُّ يسوع **المسيح**، الذي قدَّم ذاته ذبيحة على الصليب، وصار هو الكاهن والذبيحة، وذاق الموت بالجسد من أجلنا نحن الخَطَأَةَ، ودُفِنَ في القبر، وقام في اليوم الثالث وصار باكورة الرَّاقدين؛ قد وَعَدَ أنَّ كُلَّ مَن يأكل جسده ويشرب دمه، يقوم معه في عدم فساد، ويحيا معه إلى الأبد، متَّحدًا بجسده المُحيي الجالس عن يمين الآب، والذي يملأ السماء والأرض، لأنه هو رأس الجسد (الكنيسة) «الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ، مِلْءُ الَّذِي يَمْلأُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (أف ١: ٢٣).

## كهنوت المسيح:

في الرسالة إلى العبرانيين، أشار بولس الرسول إلى أنَّ ربَّنا قد طلع من سبط يهوذا الذي لم يتكلَّم عنه موسى شيئًا من جهة الكهنوت، لكي يستبعد عن **المسيح** أيَّة علاقة بخدمة المذبح اليهودي الذي كانت خدمته تقتصر على ذبائح دمويَّة لحيوانات عجماوات: «ثيران وتيوس وحملان»، لكي ينأى بكهنوت **المسيح** عن خدمة الأرضيِّات والزمانيَّات، ويفصله تمامًا عن **الكهنوت اللاوي بكل طقوسه وفرائضه وأحكامه**، التي يقول عنها بولس الرسول: «وَهِيَ قَائِمَةٌ بِأَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ وَغَسَلاَتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَرَائِضَ جَسَدِيَّةٍ فَقَطْ، مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ الإِصْلاَحِ.» (عب ٩: ١٠). فقد كانَ الكهنة اللاويون «يخدمون شِبْه السماويَّات وظِلَّها، كما أُوحِيَ إلى موسى وهو مُزمِعٌ أن يصنع المسكن (خيمة الاجتماع)، لأنه قال: ''انْظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ الْمِثَالِ الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ''» (عب ٨: ٥).

أمَّا كهنوت **المسيح** فقد ألمحت **كلمة الله** عن مصدره الإلهيّ منذ أيام إبراهيم. فقد قابله **مَلْكِي صادق ملك سالِيم وكاهن الله العَلِيّ**. والواقع أنَّ ما قيل عن **مَلْكِي صادق** وما فعله مع إبراهيم، يجعلنا نقف مشدوهين أمام هذه الشخصيَّة الفريدة. فرغم أنَّ إبراهيم هو أبو الآباء، الرجل المُبارَك والمختار من الرَّبِّ ليكون بركة لجميع الأُمم، إلَّا أنَّ **مَلْكِي صادق** بارَك إبراهيم باسم **الله العَلِيّ**، وقدَّم عنه قُربانًا من الخبز والخمر، فأعطاه إبراهيم عُشْرًا من كلِّ شيء. مِن هذا يتضح أنه فاق إبراهيم في الكرامة، حسب قول بولس الرسول: «وَبِدُونِ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ: الأَصْغَرُ يُبَارَكُ مِنَ الأَكْبَرِ» (عب ٧: ٧). فمَن يكون هذا الرَّجل العجيب الذي جاء ذِكْره فجأةً بلا أيَّة مقدِّمات ثم اختفى من مشهد الأحداث دون أي تعليق؟

لقد صمتت الكُتُب المقدَّسة عن ذِكْر أي شيء يُميط اللثام عن هذه الشخصيَّة الفريدة إلى قرونٍ طويلة، إلى أن جاء ذِكْره في مزامير داود قائلًا: «أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ». (مز ١١٠: ٤). أوضح ذلك لنا القديس بولس الرسول مُفسِّرًا عن اسمه بقوله: «الْمُتَرْجَمَ أَوَّلًا «مَلِكَ الْبِرِّ» ثُمَّ أَيْضًا «مَلِكَ سَالِيمَ» أَيْ «مَلِكَ السَّلاَمِ» بِلاَ أَبٍ، بِلاَ أُمٍّ، بِلاَ نَسَبٍ. لاَ بَدَاءَةَ أَيَّامٍ لَهُ وَلاَ نِهَايَةَ حَيَاةٍ. بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللهِ. هذَا يَبْقَى كَاهِنًا إِلَى الأَبَدِ.» (عب ٧: ٢،٣).

ويُعلِّق على ذلك **القديس كيرلُّس الكبير** قائلًا:

[... لقد نَسَبَ القديس بولس الرسول هذه الألقاب للمسيح بسبب التشابُه الدقيق والواضح لملكي صادق معه، وقَبِلَ أنَّه رمزٌ للكهنوت الذي هو فوق الناموس، إذ أدركه وقدَّم خُبزًا وخمرًا. لأنَّنا لا نتبارَك من المسيح بأيَّة طريقة أخرى، فالمسيح هو الكاهن العظيم والحقيقي. ونتبارَك على مثال إبراهيم طالما حاربنا رؤساء هذا العالم بكلِّ قوَّتنا، وأظهرنا أننا أسمى من أنْ نقع في يد الأعداء، ولم نَخَفْ من أيِّ شيء من الأمور العالية معتبرين عطايا الله بالحري أنها الغِنَى الرُّوحي، والمجد والنصيب المذَّخر للمواهب السماويَّة.

... إذن، أوضح بولس (الرسول) بواسطة ملكي صادق، أنَّ رُتبة الكهنوت سوف تنتقل من السِّبط الذي كُلِّف بالقيام بالخدمة الكهنوتيَّة وفق الناموس، وسوف تظهر طريقة أخرى ونظام آخر لتتميم الكهنوت. لأنَّه كان من الضروري أن يُنقَل ويُبطَل الناموس نفسه مع خدمته الكهنوتيَّة. لذلك يقول بولس الرسول بحكمة: «فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال، إذ الشعب أَخَذَ الناموس عليه، ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهنٌ آخر على رُتبة مَلْكِي صادق، ولا يُقال ''على رُتبة هارون''؟ لأنه إنْ تغيَّر الكهنوت، فبالضرورة يصير تغيُّر للناموس أيضًا» (عب ٧: ١١،١٢). وأيضًا يقول: «وذلك أكثر وضوحًا أيضًا إنْ كان على شِبْه مَلْكِي صادق يقوم كاهنٌ آخر، قد صار ليس بحسب ناموس وصية جسديَّة، بل بحسب قوَّة حياة لا تزول. لأنه يشهد أنك ''كاهن إلى الأبد على رُتبة مَلْكِي صادق''» (عب ٧: ١٥-١٧)].

وهكذا تتضِحُ لنا المفارقة الصارخة بين كهنوت **المسيح** رئيس الكهنة الأعظم و**كهنوت هارون**:

أولًا: إرساليَّة الآب لابنه الوحيد إلى العالم لكي يُخلِّص به العالم: «كَذلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضًا لَمْ يُمَجِّدْ نَفْسَهُ لِيَصِيرَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ، بَلِ الَّذِي قَالَ لَهُ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ».» (عب ٥: ٥).

ثانيًا: «كَمَا يَقُولُ أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ»: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ».الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طَلِبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ، سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ، مَدْعُوًّا مِنَ اللهِ رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ.» (عب ٥: ٦-١٠).

**فالمسيح** صار رئيس كهنة بأمرين عَدِيمَي التغيير هما **الوعد والقَسَم: الوعد بالبركة، والقَسَم بأنه رئيس كهنة إلى الأبد**. وهو الآن قائمٌ وجالسٌ عن يمين العظمة في الأعالي خادمًا للأقداس الحقيقيَّة في

السموات (عب٨:١-٢). «بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عب ٩:١٢-١٤).

## ذبيحة المسيح:

«هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (يو ٣: ١٦). **فالله** من فرط محبته للبشريَّة، التي خلقها على صورته، دبَّر لها منذ الأزل سبيلًا للخلاص.

وفي هذا يقول **القديس أثناسيوس الكبير**:

[لأَنَّهُ لو لم يكن (الله) قد خَلَق الإنسان، لَمَا تجرَّأ أحدٌ أن ينسب إليه الضَّعف. أما وقد خلقه وأتى به من العدم إلى الوجود، فقد كان سيصبح من غير اللائق بالمرَّة أن تَفْنَى المخلوقات أمام عَيْنَيِ الخالق... هكذا وبالأكثر جدًّا، فإنَّ **كلمة الآب كلِّي الصلاح**، لم يتخلَّ عن الجنس البشري الذي خُلِقَ بواسطته، ولم يتركه ينحدر إلى الفناء؛ بل أبطل الموت الذي حدث نتيجة التعدِّي، بتقديم جسده الخاص... وبعد ذلك يوضِّح السبب الذي من أجله كان ضروريًّا أنَّ **الله الكلمة** نفسه وليس آخر سواه، هو الذي يتجسَّد، فيقول: «لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ.» (عب ٢: ١٠)].

وفي هذا يقول القديس يوحنا الرسول أيضًا: «بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا.» (١يو ٤: ٩،١٠). **فالمسيح** هو: «الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب من أجل خلاص جنسنا. فاشتمَّه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة».

فهو الكاهن وهو الذبيحة الحقيقيَّة الذي شاء أن يرتفع على خشبة الصليب، ويحتمل الآلام، ويذوق الموت عنَّا، ويقوم في اليوم الثالث ناقضًا أوجاع الموت: «لأنه بإرادته ومسرَّة أبيه والرُّوح القُدُس، أتى وخلَّصنا». وهو الراعي الصالح الذي يضع نفسه ويبذلها عن الخراف.

وفي هذا يقول **القديس كيرلُّس الكبير**:

[هو الرَّاعي الحقيقيّ الصالح حقًّا قد مات من أجلنا، لكي يُخرجنا من ظلال الموت المُعتمة، ويُهيِّئنا لشركة الخوارس السمائية، بل يُنعم علينا بالمنازل العُليا في حضرة الآب نفسه... ولكن من الأمور الجديرة بالملاحظة أنَّ المسيح لم يحتمل الموت من أجلنا بغير رضاه، بل إننا نراه يتقدَّم نحوه بكامل إرادته... لذلك فإننا نرى في قبوله الآلام بإرادته لأجلنا سموَّ محبته من نحونا، وعطفه الفائق الطبيعة نحونا].

ويبدو بكل وضوح مدى تقبُّل **المسيح** واستعداده لبذل ذاته من أجلنا من قوله في حديثه عن الرَّاعي الصالح: «كَمَا أَنَّ الآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ... لِهذَا يُحِبُّنِي الآبُ، لأَنِّي أَضَعُ نَفْسِي لآخُذَهَا أَيْضًا. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي. لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا. هذِهِ الْوَصِيَّةُ قَبِلْتُهَا مِنْ أَبِي». (يو ١٠: ١٥-١٨).

هنا يُعلِن **المسيح** سلطانه المُطلق على الموت والحياة معًا، ثم يضع هذا السلطان في توافق تام مع إرادة **الآب**. **فالابن مساوٍ للآب في الجوهر**، لأن **الآب والابن** واحدٌ في هذا الجوهر الإلهي. فكل ما هو للآب هو للابن، وما هو للابن هو للآب، على أساس الوحدة المُطلقة للثالوث في الجوهر.




## الشّر والشيطان والسُّقوط البشري:

يقول **القديس سمعان المترجم**: إنَّ الشَّر مُرتبط بشكلٍ أساسي بالمُتَعَدِّي الذي يبدو أنَّه يعيش ويزدهر، على الرَّغم من حِرمانه حقًّا من الحياةِ الحقيقيَّة في الله. **الشيطان** هو مَنْ تَبَنَّى عن عَمَدٍ تَحَوُّلَهُ الشِّرِّيرَ بمُعارَضَتِهِ للسيِّد الذي خَلَقَهُ. وهكذا بسبب هذا المُعارضة، أصبَحَ سبب الهلاك لنفسهِ أوَّلًا ثمَّ لنا نحن البشر الذين أقنعهم بخداعهِ ثانيةً.

ولكن هناك فرق مهمٌ بين **الشيطان** وبيننا نحنُ البَشَر في ما يتعلق بالشَّر. هو يظَلّ دائمًا مُتَمَرِّدًا، ويظلّ شَرُّه دائمًا ثابتًا وغير قابل للتغيير. نحن من ناحية أُخرى، يمكننا أنْ نقوم من جديد، لأنَّنا حصلنا على النعمة بعد سقوطنا بسببِ صلاحِ صانعنا الفائق. **الشيطان** يبقى غير قابل للتغيير، لأنَّه لم يَسقُط بالخِداع، إذ لكونه غير ماديّ وخالٍ من الارتباك المادي وكثافة الجسد، فقد سَقَطَ طواعيَّة من الخيرِ الذي كانَ له وصولٌ مُباشر إليه. ولهذا لا مكان له للتوبةِ عنده،

بل هو يدفع نفسه عمدًا إلى الشَّر ويبقى فيه ويتوسَّع من خلاله.

أمَّا البَشَر مِنْ جهتهم، فقد سَقطوا لأنَّهم انخدعوا بخداع **الشيطان**. لذلك نالوا نعمة التوبة، حتى وإن ذاقوا الشَّر، يمكنهم أنْ ينظروا إليه بازدراء ويدوسوه. يستطيع البشر، بنعمة التوبة الإلهيَّة، أنْ يشعروا ويتوقوا مرَّةً أُخرى لتلك الخيرات الحقيقيَّة والإلهيَّة، التي حُرِموا منها، وأن يقوموا ويُصبحوا مُتَلَقِّين لِرَحمَةِ الله وَحُنُوِّهِ، وشُركاء في الصلاح الإلهي المُبارَك.

ولهذا الغرض بالتحديد، تمَّ إعلان تدبير الله في **الأنبياء وفي الناموس** وفي كُلِّ نظام ديني، وأخيرًا بشكلٍ كامل في تَجَسُّد ابن الله. كُلُّ هذه الوسائل أُعطِيَت للإنسان ليفهم سُقوطه، ويبتعد عنه وعن الذي أفسَدَهُ وَضَلَّلَهُ، ويعود إلى ما كان عليه في الأصل بل وأبعد إلى حالةٍ أفضَلَ. إنَّ أعظم مظاهر تدبير الله هذه هي محبَّة **المُخَلِّص للبشريَّةِ**، والتي تمَّ الكشفُ عنها بشكلٍ ملموس في اتِّحادِهِ بالطبيعة البشريَّةِ، كما سبَقَ أن أشرنا. لقد أصبَحَ تَجسُّد السيِّد المُحِبّ للإنسان وصيرورته إنسانًا في رفع الإنسان من سقوطه مرَّة أُخرى. في هذا بالضبطِ يتوفَّر الحلُّ لمشكلة **الكهنة غير المُستحقِّين**.

ما يقترحه **القديس سمعان** هنا هو أنَّ الكاهن يحتاج أوَّلًا إلى أنْ يَشفِي نفسه قبل أنْ يَشفي الآخرين. يحتاج هو نفسه إلى الإصلاحِ وإعادة التكوين قبل أن يُصبح فعَّالًا في ترميم الآخرين وإنعاشهم.

### استعادة البشريَّة الساقطة:

**كيف بالضبطِ حقَّقَ التجَسُّد استعادة الإنسان وتجديده؟** من جهةٍ، يُشير **القديس سمعان** إلى قيامة **المسيح** وصعوده، ومن جهةٍ أُخرى إلى الكهنوت المسيحيّ الذي أوجده **المسيح**. الأوَّل هو الأساس والأخير هو الوسيلة لتطبيق هذا الإنجاز. ما يلي هو شرح **القديس سمعان المُترجم**:

بعد قَصاص آدم، مُنِحَت إنسانيَّتنا في **المسيح** فرصة جديدة للحياة *(όρον ζωής)*، **وأصبحت خالدة**، لكن لم تَعُد ظاهرة للبَشرِ الفانِين. لهذا صارَ مُستحيلًا بعد الموتِ استنهاض البَشَر للتوبةِ والتَّجَدُّدِ خاصةً الآثمين والخطأة الذين كانوا قد أصرُّوا عمدًا على خطاياهم، على الرغمِ من أنَّ الكنيسة، التي هي الجسد المُؤَلَّه الذي لا يفنى ولا يُمَسُّ، تحتمل الآلام عِبر الشهداء القديسين الذين هُم أعضاء فيها ويتألَّمون دائمًا عنها.

لذلك صَعِدَ **المسيح** إلى السماوات من أجلنا وليس من أجل نفسِهِ، حيث لم يكن أبدًا مُنفصلًا عن حِضْنِ أبيه الكلِّي الوجود. لقد فعَلَ هذا من أجلِ إنسانيَّتنا، جسدنا إذ أحضره إلى الآب كهديَّةٍ ووضعه على العرش من فوق، أي في السماء، فوق كُلِّ رئاسة وسُلطان وقوَّة، كما قال القديس بولس. لقد جعله **إلهيًّا** *(όμοθέαν)*، مُمَجَّدًا، مُكَرَّمًا من كُلِّ الخليقة، وهيَّأه ضحيَّة دائمة عنَّا تُقَدَّم إلى الآب دائمًا وهي **عزاؤنا** *(παράκλησις)*، **وكفارتنا** *(ιλασμός)*، **وغفراننا** *(λυτήριον)*، **وموهبتنا** *(δώρον)*، **وجائزتنا** *(βραβεῖον)*، **وتمتعنا العام** *(άπολαυσις)*.

ولكن بما أنَّ **المُخَلِّص** قد أَنجَزَ كُلَّ هذا وجَلَسَ على العرش السامي عن يمين **الآب**، وما زِلنا نحن البَشَر على الأرض وبحاجةٍ إلى **المُخَلِّص**، فقد أعطانا من جديد **نعمة الخلاص** *(την χάριν του σωτηρίου)* بدافع الرحمة التي لا توصف، لأنَّنا نلبس نفس الطبيعة البشريَّة، ونخضع لنفس الأهواء ؛ وكما هو الحال عندما أرادَ أنْ يُخَلِّص الإنسان، فقد أصبَحَ إنسانًا وليسَ ملاكًا، لذا فهو الآن يُعطي هذه النعمة للإنسان وليسَ للملائكة، فهو لم يَتَّحِد بالملائكة إلَّا **عقليًّا فقط** *(νοερών)*، لكونهم لم يكونوا بحاجة إلى التَّجَدُّدِ. من ثمَّ صَعِدَ الرَّبّ وتَمَجَّد، وأقام **الكهنة** كمُنقِذين للعملِ باسمِهِ، ليكونوا مُشكِّلي النُفوس، ومُرشِدين إلى السماء، وأنوارًا للحياةِ، وآباءً ورعاةً وحَفَظَةً ؛ وقد وهبهم قوَّته ليكونوا ما ذكرناه أعلاه أوَّلًا لأنفسهم كما للآخرين !

إنَّ هذه الدعوة السَّامية للكهنةِ، كما يقول **القديس سمعان المُترجم**، وتَسامِي هذا السِّر، تجعلان من واجب **جميع الكهنة** إثبات أهليَّتهم لها. إنَّها تؤهِّلهم لتلَقِّي قوَّة الله ونعمته ليُصبحوا موزِّعين لها في وجودهم على الأرض! إذًا، ما وُصِفَ أعلاه هو واجب مُلزِم على **الكهنة** لمَصلحتهم الشخصيَّة، كما لمنفعة الكثيرين، إذ يجب أنْ يكونوا قُدْوَةً جيِّدة لهم حتى الموت. إنَّ نموذجهم الأصليّ هو **المسيح** نفسه الذي قال: أنّه «أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ.» (يو ١٠: ١٥)، أو كما قال بطرس أنَّه: «تألَّمَ لأجلنا» (١بطرس ٢: ٢١)، أو كما قال بولس: «الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟ (رو ٨: ٣٢).

هذه المواصفات مُتعَلِّقَةٌ بالمثال الأصليّ **للمسيح** وهي الإرث المُشترك **لجميع الكهنة** الذي تنقله إليهم نعمة الله.

## من أقوال أمّنا البارّة ثيوذورة

**جاهدوا لأنْ تدخلوا مِنَ البابِ الضَيِّق. كما أنَّ الأشجار، إنْ لم يصادفها الطقس السَيِّء والأمطار، لا تستطيع أنْ تُثمر، هكذا نحن في حياتنا الأرضيَّة التي هي كالطقس السَيِّء. إنْ لم نمرّ في وسط ضيقات وأحزان وتجارب لن نرث ملكوت السموات.**

**قالت أيضًا: إنّه أمر حَسَنٌ أنْ ينسُك الإنسان ويعيش الحياة الهدوئيَّة. لأنّ الكتاب يقول «الإنسان العاقل ينسك ويهدأ» (أمثال ١١: ١٢). في الحقيقة إنَّه لأمر مهم وعظيم لراهبٍ أو راهبةٍ أنْ يعيشا الحياة الهدوئيَّة وخصوصًا للشُبان منهم. ولكن ليكن معلومًا انّه من اللحظة التي يختار فيها الإنسان أنْ يعيش الحياة الهدوئيَّة يأتي فورًا المجرّب ويلطخ نفسه بالتهاون وَصِغَرِ النَّفس وأفكار متنوعة. عندها يُلحق بالجسد أمراضًا، ضعفًا، تخليعًا في الركب وكافة أعضاء الجسد، وهكذا تضعف النفس والجسد معًا، ولا يتهاون عن أنْ يبثَّ الفكرة التالية في فكره: «أنا مريض! وليس لدَيَّ القوَّة أبدًا على الصلاة». أقول لكم إن جاهدنا وتماسكنا كُلُّ هذه التجارب تزول.**




## الإصحاح الثالث

### العظة التاسعة (١كو٣: ١٢-١٧)

«وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَبْنِي عَلَى هذَا الأَسَاسِ: ذَهَبًا، فِضَّةً، حِجَارَةً كَرِيمَةً، خَشَبًا، عُشْبًا، قَشًّا، فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ، وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ. إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً. إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ، وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ.» (١كو٣: ١٢-١٥).

٣- إنْ كانَ هذا الكلام قد قيلَ عن الإيمان، فليسَ هناكَ ما يدعو لأن يُقال مرَّة أُخرى، لأنَّه يجب أنْ يكون الجميع متساوين في الإيمان، لأنَّ الإيمان (المستقيم) واحدٌ، أي أنَّه من غير الممكن أنْ يكون الإيمان قليلًا لدى شخص، وأفضَل لدى الآخر، بل هو إيمان مستقيم واحد لدى كُلِّ الذين آمنوا بالحَقِّ. أمَّا فيما يخصُّ حياة الفضيلة، فمن غير الممكن أن يكون الجميع واحدًا. فمن الممكن أن يكون البعض نُشطاء عمليًّا ومُحبِّين للألم أكثر، والبعض الآخر أكثر خمولًا، وأنَّه من الطبيعي للمتقدمين في حياة التقوى أن يحيوا بآستقامة، وأنَّ الذين يأتوا في المرتبة الثانية يكونوا في وضعٍ أقلّ. أيضًا من المتوقَّع أنْ يكون البعض قد ارتقى في الحياةِ الرُّوحيَّة إلى درجاتٍ عظيمة وسامية. والبعض الآخر في وضعٍ أقل، وأيضًا يكون البعض قد ارتكب شرورًا كبيرة، والبعض الآخر زلَّاتٍ بسيطة. ولذلك قال: «ذهبًا فضَّة حجارة كريمة خشبًا عشبًا قشًّا».

يقول: «فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا» (١كو ٣: ١٣)، إنْ بَقِيَ عمل أحدٍ قد بناهُ عليه فسيأخذ أُجرةً، إن احترقَ عمل أحد فسيخسر. وبالطبع إنْ كان هذا الكلام قد قيلَ عن تلاميذ ومعلِّمين، فإنَّ المعلِّمين لن يُعاقَبوا، إن لم يَكُن التلاميذ قد استمعوا لهم. ولذلك يقول: «كُلُّ واحد سيأخذ أُجرته بحسب تعبه»، وليسَ بحسب النتيجة، بل بحسب التعب. ما هي المسؤوليَّة التي تقع على المعلِّمين، إن كانَ المستمعون إليهم لا يعطون لهم أيَّ اهتمام؟ هكذا يتضح أنَّ الحديث هو عن العمل.

ويمكن أنْ نستعرض الأهميَّة التي يحملها هذا الكلام، كالآتي: « لو أنَّ شخصًا قد ارتكب الشَّرّ، إلَّا أنَّهُ يحمل إيمانًا مستقيمًا، فإنَّ إيمانه لن يُنقذه من العقاب، طالما أنَّ عمله قد احترق. وكلمة «إحترق»، تعني أنَّ قوَّة النار لا تخمد. تمامًا كما لو أنَّ شخصًا كان لديه أسلحة من ذهب، واجتاز بحر نار (يقصد بالنار هنا، نار التجارب والتي إمَّا أنْ يخرج منها الإنسان أكثر بهاءً، أو لا يستطيع تجاوزها، فيحترق ويهلك.)، ثمَّ خرج منه أكثر بهاءً وإشراقًا، فلو أنَّه قد اجتازه ومعه عُشبٌ، فإنَّه ليس فقط لن ينتفع شيئًا، بل إنَّه يُهلِك نفسه، هكذا يحدث مع الأعمال. لم يَقُل هذا الكلام، كمن يتكلَّم عن أشخاص حقيقيِّين، ومحترقين، بل أرادَ فقط أن يُزيد الخوف أكثر، وأن يُبرهن على أنَّ ذاكَ الذي يحيا في الشَّرّ، لن يشعر مُطلقًا بالأَمان، ولذلك قال: «سَيَخْسَرُ»، ها هي عقوبة أولى، ثمَّ قال: «وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ، وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ»، وها هي العقوبة الثانية. إنَّ معنى كلامه هو: إنَّه لن يهلك هو شخصيًّا، مثلما يحدث مع الأعمال، لكنه سيبقى في النار. الأمر بكُلِّ تأكيد يحتاج إلى خلاص، ولهذا أضافَ: « فَسَيَخْلُصُ، وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ»، لأنَّه كما هو معروف أنَّنَا اعتدنا أن نقول عن المواد التي لا تحترق، والتي لا تتحوَّل إلى رماد، أنَّها تحتفظ بحالتها في النار.

ولكن لا تعتقد لأنَّكَ سمعتَ كلمة «نار»، أنَّ أولئك الذين يحترقون، يُساقون إلى العدم. فلو أنَّ هذا النوع من العقاب، يعتبره خلاصًا، فلا تتشكَّك، لأنَّه اعتاد أنْ يستخدم كلمات لها وقعٌ طيِّب وحَسَنٌ على أمور سيِّئة، وكلمات عكس ذلك على أمورٍ حسنة، مثل كلمة: «أَسْرٌ» فإنَّ الأَسْرَ يُعَدُّ أمرًا سيِّئًا، ولكن الرسول بولس يستخدم هذه الكلمة بمعنى حَسَن، قائلًا: «مُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ» (٢ كور ١٠: ٥). وأيضًا يستخدم كلمات رقيقة وحسنة عن أمور مستهجنة، قائلًا: «كَمَا مَلَكَتِ الْخَطِيَّةُ»، بالرغمِ من أنَّ كلمة «مملكة» هي كلمة حَسنة ووقعها مُريح على أُذن السَّامع. هكذا هنا أيضًا حين يقول: «سيخلُص»، فهو لا يُنوِّه إلى

أيِّ شيء آخر، سِوَى إلى عِظَم العقوبة، كما لو كان يقول: إنَّ هذا الخاطىء سَيُعَاقَب عِقابًا دائمًا.

ثُمَّ يُضيف بعد ذلك، كنتيجة لذلك: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ؟» لقد تحدثتُ في العظة السابقة عن أولئك الذين يقسِّمون الكنيسة، وفي هذه العظة سنتحدَّث عن إشارته إلى الزَّاني الذي طلب عزله، والذي لم يذكره بالاسم، بل ذَكَر الأمر بدون تحديد، مشيرًا إلى حياتِهِ الفاسدة، ويميِّز بين الخطيَّة وبين العطيَّة التي سبَقَ وأن أُعطِيَت بالفعل. بعد ذلك ردّ الآخرين عن الأمور التي ارتكبوها بالفعل، وهذا ما يفعله باستمرار، آخذًا الدافع من الأمور التي ستحدث، او التي حدثت بالفعل، سواء كانت مُحزنة أم مُفرِحة. وفيما يختص بالأمور المستقبليَّة يقول: « **فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ**»، وفيما يتعلَّق بما حدث بالفعل، يقول: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يُفْسِدُ هَيْكَلَ اللهِ فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ».

أرأيتَ مدى قُسوة الكلام؟ إلَّا أنَّ الشخص المُتَّهم ظَلَّ غير معروف، ولم يَكُن الكلام ثقيلًا، لأنَّ الخوفَ الذي نتج عن التوبيخ، كان سائدًا. يقول: «فَسَيُفْسِدُهُ اللهُ» أي سيُهلكه، وهذا ليس معناه أنَّه يلعن أو يَحرِم، بل يتنبَّأ. ثُمَّ يُضيف قائلًا: «لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ»، والزَّاني دَنِس. وبعد ذلك، ولكي لا يبدو أنَّه يتوَجَّه بكلامه نحو ذلك الزَّاني، وبعدما قال: «لأَنَّ هَيْكَلَ اللهِ مُقَدَّسٌ»، أضافَ:« الَّذِي أَنْتُمْ هُوَ.» (١ كو ٣: ١٧).

**ثمَّ يقول: «لاَ يَخْدَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ. إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هذَا الدَّهْرِ، فَلْيَصِرْ جَاهِلًا لِكَيْ يَصِيرَ حَكِيمًا!.» (١كو٣:١٨).**

وهذا الكلام يقوله عن ذاكَ الشخص، لأنَّه اعتَقَدَ أنَّ ما فعله هو أمرٌ يدعو للافتخار وَيُعَبِّر عن حِكمته.

وحتَّى لا يبدو وكأنَّه يتوَجَّهُ بِكَلامه نحو ذلك الشخص بأمورٍ كثيرة، دون أنْ يكون هذا هو هدفه الأساسي، بعدما وضعه في دائرة القلق، وسَلَّمه للخوفِ، يعود مرَّة أُخرى للكلامِ عن الخطيَّة المشتركة، فيقول: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هذَا الدَّهْرِ، فَلْيَصِرْ جَاهِلًا لِكَيْ يَصِيرَ حَكِيمًا!.»، وقد فَعَلَ هذا وبجرأة كبيرة بعد ذلك، إذ استطاعَ أنْ يواجههم ويُؤثِّر فيهم. لأنَّه حتى وإنْ كان هناك شخصٌ غنيٌّ وينحدر من أصلٍ نبيل، فإنَّهُ يُصبح أكثر دناءة وتفاهة من كُلِّ التافهين، حينَ يكون خاضعًا لسيادة الخطيَّة. تمامًا كما لو أنَّ مَلِكًا ما قد سَقَطَ أسيرًا في أيدي أعدائه، وصارَ عبدًا **للبربر**، فإنَّ هذا الملك سيكون هو الأكثر بُؤسًا وتعاسَةً من الجميع. هكذا يحدث مع الخطيَّة. أي أنَّ الخطيَّة هي مثل **البربر** في همجيَّتِهَا، ولا تعرف كيفَ تترائف بالنفسِ وتترَفَّق بها، حين تستحوذ عليها وتمتلكها، بل تطغي عليها وتسودها حتى تُهلِكها.

٤– بالحقيقة لا يوجد شيئٌ مُخالفٌ للصواب وللعقلِ مثل الخطيَّة، ولا يوجد ما هو أكثر حماقة وجهلًا وقهرًا من الخطيَّة، حيث أنَّها تتوَغَّل في النفسِ، وتُثير الفوضَى في كُلِّ شيء، وتُهلِك كُلَّ شيء. فهيَ تحمل هيئة مُحزنة، مُزعجة وغير مُحتملة. ولو أرادَ رَسَّام أنْ يرسمها فأنا أعتقد أنَّهُ لن يُخالف الصواب إذا رسمها كامرأة لها وجهٌ قاسٍ، ومُتوَحِّش، وبربري ينفث نارًا، شرِّيرة، وسوداء مثل أُنثى الكلب التي يصفها الشعراء الوثنيُّون، أي أنَّها تستحوذ أفكارنا بأيادي لا حَصْرَ لها، ودون تَوَقُّع تندفع إلى الداخل وتفترس وتمزِّق كُلَّ شيء، مثل الكلاب التي تنهش خفية. ولماذا نحتاج للوصفِ، مادُمنا نستطيع أنْ نُحضِر إلى هنا، أولئك الذين تملَّكت عليهم الخطيَّة؟

إذًا مَن تُريدون أنْ نَصِفَهُ أوَّلًا؟ هل الطَّماع والخاطف والسَّالب؟ وهل هناك ما هو أكثر وقاحة من عيون هؤلاء؟ وهل هناك ما أكثر سفاهة وبذاءة من هذه العيون؟ بالحقيقة لا يستقيم هذا السلوك حتى لِكَلبٍ، مثلما يستقيم لهذا الذي يسلب ما للآخرين. وهل هناك ما هو أكثر دَنَسًا وتلَوُّثًا من أيادي هؤلاء؟ ما هو أكثر وقاحة من ذلك الفَم الذي يلتهم كُلَّ شيء، ومع ذلك لا يشبع؟ لا تنظر إلى الوجه والأعين، على أنَّها وجوه وأعين إنسانيَّة، لأنَّ هذه النوعيَّة من الشهوات لا تراها الأعين الإنسانيَّة. فذاكَ الذي يشتهي ما لغيره، لا ينظر للناسِ كبَشر، ولا للسماء كسماء، ولا يرفع نظره نحو **الله**، بل يعتقد أنَّ كُلَّ شيء، بمثابة أموال. عيون البشر عادة ما تنظر إلى الفقراء المُنهَكين، وتَترَفَّق بِهم، أمَّا هؤلاء فينظرون إلى الفقراء ويصيرون وحوشًا. عيون البَشر لا تنظر إلى الأشياء التي لا يمتلكونها على أنَّها مُلكٌ لهم. بل تنظر إلى ما يملكونه على أنَّه غريبٌ عنهم، ولا تشتهي ما يُعطَى للآخرين، بل إنَّ ما يملكونه يعطونه للآخرين. بَيْدَ أنَّ أولئك الخاطفين، لا يتوقَّفون إلَّا بعد أنْ يأخذوا كُلَّ شيء، ويُخَزِّنوا في بيوتهم كلّ ممتلكات الآخرين، وقد لا يكتفون بذلك. ولهذا يستطيع المرء أنْ يقول: إنَّ أيادي هؤلاء ليست فقط أيادي وحوش، بل أكثر وحشيَّة ورُعبًا من أيادي الوحوش. لأنَّ الدِّبَبَة والذئاب عندما تشبع، لا تقترب من طعامها، أمَّا أولئك الخاطفون فلا يشبعون. ولذلك فقد أعطانا **الله** أيادي لكي نُساعد الآخرين. لا لكي نرتكب شرورًا ضدَّ الآخرين. فإنْ كُنَّا نُريد أنْ نستخدمها لهذا الهدف الشِّرير، فمن الأفضل أنْ تُقطَع، ونكون بدون أيادٍ.

أمَّا أنتَ فإنْ رأيتَ وحشًا يفترس خروفًا، فلابُدَّ أنْ تنزعج، ولكن عندما تصنع أنتَ بشريكك في الإنسانيَّة هذا الأمر، أَلَا تعتقد أنَّكَ تفعل ما هو أكثر فزعًا ورُعبًا! وعندئذ كيف يمكن أن تُدعى إنسانًا؟ أَلَا ترى أنَّنَا ندعو سلوك المرء بأنَّه إنساني حين يكون مملوءًا بالرأفةِ والمحبَّة للناس، لكن عندما يرتكب أحدٌ شيئًا وحشيًّا وقاسيًا، فإنَّنَا ندعو هذا العمل، بأنَّه عملٌ وحشيّ! وبناءً على ذلك فإنَّنا نَصف الإنسان، بأنَّه ذاك الذي يحمل أحشاء رأفة، ونَصِف الوحش بأنَّه مجرَّد من هذه الرأفة، وكثيرًا ما يتردَّد هذا التساؤل: هل أصبحَ الإنسان وحشًا أو كلبًا؟ إنَّ دور البَشر هو أن يُزيلوا الفقر لا أنْ يُزيدوه. إنَّ هذا النوع مِنَ البشر له أفواه الوحوش، وربما تكون أكثر وحشيَّة من أفواهها. لأنَّهم بالحقيقة يتكلَّمون بكلامٍ يقطر سُمًّا أكثر ممَّا في أسنان الوحوش، وينشرون الموت في كُلِّ موضع. ولو أنَّ أحدًا فحصَ هذه الأمور، سَيُدرِك جيِّدًا كيف أنَّ القسوة تُحوِّل أولئك الذين استحوذت

عليهم، من بَشَرٍ إلى وحوشٍ. وأيضًا إنْ فَحَصَ أحدٌ فِكرَ أولئك الناس المتوحِّشين، فإنَّه سيدعوهم ليس فقط وحوشًا، بل **شياطين**. لأنَّهم بالحقيقة مملوؤون قسوة وعدواة ضدَّ شُركائهم في الإنسانيَّة، ولا يوجد داخلهم أيُّ اشتياق لملكوت السموات، **ولا خوف من الجحيم**، ولا يخجلون من الناس، وليسَ بداخلهم رأفة، ولا لُطف، بل سفاهة ووقاحة، ولا مُبالاة من جهة أمور الدهر الآتي. وهم يعتقدون أنَّ كلام الله عن الجحيم هو أساطير، ومَدْعَاةٌ للسخرية، أو مجرَّد تهديد.

هذا هو فكر الشَّخص الطمَّاع. إذًا عندما يكونون من الداخل **شياطين**، فهم وحوش من الخارج، بل وأسوأ من الوحوش. أخبرني كيف سَنُصَنِّف هذه النوعيَّة من البَشر؟ ومن حيث أنَّهم أسوأ من **الوحوش**، فهذا واضح من الآتي: إنَّ **الوحوش** هي **وحوش** بحسب طبيعتها، ولكنَّ هؤلاء (الطمَّاعين)، بينما هم بالطبيعة كائنات وديعة، إلَّا أنَّهم يَكرهون أنفسهم، لكي يُصبحوا **وحوشًا**. **والشياطين** تستخدم هؤلاء كأعوان لهم، حيث يتآمرون على الناس، لأنَّه إنْ لم يشترك هؤلاء (الطمَّاعون) معهم في هذا العمل التآمري، فإنَّ **الشياطين** سيتعهَّدون بالجزء الأكبر في التآمر ضدَّنا، فهؤلاء يحاولون تحطيم جميع المقاومين لِخِطَطِهم، ويهلكونهم. أيضًا **الشيطان** يُصارع الإنسان، وليس شريكه في نفس الطبيعة، أمَّا الطَّماع فيكره نفسه ويُؤذي شريكه في الإنسانيَّة بكافة الطُرق، رغم أنَّه قريبه بحسب الأصل، ومساوٍ له، ولا يستحي حتى من طبيعته.

أعرف أنَّ كثيرين يتأفَّفون مني بسبب كلامي هذا، لكنني لنْ أعرض عنهم، بل سوفَ أرأفُ بهم، وأبكي بسبب هذه المشاعر، وحتى إنْ أرادوا أنْ يضربوني، فسوفَ أتحمَّل هذا بِرِضى، إذا كان هذا سيؤول إلى تحريرهم من هذه الوحشيَّة. وليس أنا فقط، بل **وداود** أيضًا يتفق معي في دعوة هؤلاء الناس الذين يُخرجهم من جنس أقرانهم من البشر، قائلًا: « الإنسان في كرامة لا يبيت يُشبه البهائم التي تُباد» (مزمور ٤٨: ١٢).

إذًا لِنَصر بَشَرًا في كُلِّ الأحوال، ولنُحوِّل أنظارنا نحو السماء، ولنسترجع مرَّة أُخرى «صورة الله» (كولوسي ٣: ١٠) فينا، حتى نربح خيرات الدهر الآتي بالنعمة ومحبَّة البشر اللواتي **لربنا يسوع المسيح** الذي يليق بِهِ مع **الآب والرُّوح القُدُس** المجدوالقوَّة والكرامة إلى الأبد، آمين.

**(يتبع في العدد القادم)**

## من أقوال القديس پورفيريوس الرَّائي




**كلّ مرَّة تقولون: «يا ربّي يسوع المسيح إرحم ولدي»، سيتلقّى ولدكم فكرة حسنة... صلُّوا كثيرًا كي يتلقّى ولدكم أفكارًا حسنة كثيرة.**

**لا تَدِنْ أحدًا على خطيئتِه، صِرْ أنتَ شفاءً لخطاياه بمحبَّتِكَ.**

**يمكن للإنسان أن يكون قديسًا في أي مكانٍ، في العمل، مهما كان نوعه. يمكنك أن تكون قديسًا عبر الوداعة، الصبر والمحبة.**

**إبدأ بدايةً جديدةً كلّ يوم، مع قرارٍ جديدٍ.**

**إبدأ بالحماس والمحبة، مع الصلاة والصمت.**

**لا تغرق في ما يحدث لكنِ انظر بالأحرى إلى النور، أي إلى المسيح، بالضبط كما ينظر الأطفال إلى أمهاتهم عندما يحدث أي شيء. أنظر إلى كل شيء من دونِ قلقٍ أو هَمٍّ أو تعقُّل، من دون أن تشعر أنك في الضيق. فبهذه الطريقة وبدل أنْ تستسلم الى الهمّ الذي ليس من روح الله، ستسلم نفسك إلى تمجيده.**

**« مغبوط هو الإنسان الذي يحب الجميع دون أن يطلب المحبة من الآخرين ودون أن يهتم إذا كانوا يحبونه أم لا ».**

**توزّع هذه المجلة مجانًا**


**جمعية نور المسيح**
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
**لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:**
**IBAN: IL480127260000000111122**